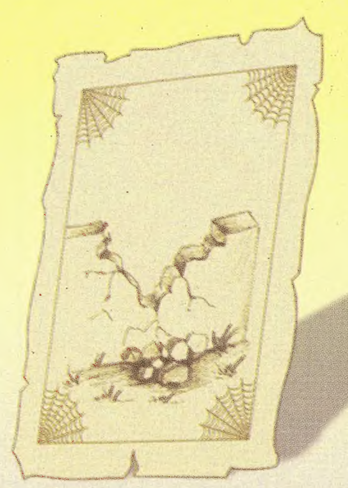
فاضل الفراتي

المعاهدة

بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية



مؤسسة البلاغ

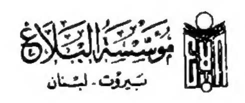


المعاهدة

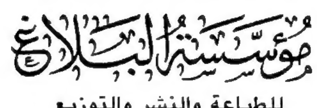
بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان

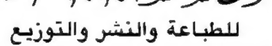
قراءة في نصوص أهل السُنة

فاضل الفراتي



الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م





المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٣ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء
ص.ب : ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٥٥٢١١٩ ٠١ - ٥١٤٩٠٥ ٠٢ - بيروت لبنان

الاهداء

الى من تسكن الروح عندها
وتطمئن النفوس فى رحابها
الى سيدتى فاطمة عليها السلام
بنت الامام موسى الكاظم عليه السلام
الملقبة بـ «المعصومة»
اهدى هذا الجهد المتواضع

تصدير

إننا نتطلع الى حادثةٍ مضىٰ عليها أكثر من ١٣٠٠ عام تناولتها الموسوعات التاريخية بالمد والجزر على انها ـ الموسوعات ـ لاتخلو من تشويش وتشويه للحقائق، فكان علينا أولاً استقصاء المواد وكل ما يتصل بتلك الحادثة، الا وهي المعاهدة أو الهدنة بين الامام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ومعاوية بن أبي سفيان. ومن ثم تنسيق الاحداث الواقعة آنذاك بشكل خالي من الالتواء والعصبيات إذ علينا أن نُرجع الحقائق الى تسلسلها الصحيح ضمن حلقات التاريخ لاسيما وان بعض تلك الحلقات مفقودة عمداً أو سهواً مما يضطرنا الى الكشف عنها بقرائن الاحوال واستنطاق النصوص والتأمل فيها واستخراج الحق من بين رصيد هائل واكداس متراكمة من سطور تاريخية مشوبة بالباطل.

فجنحنا الى العقل السليم في عملية تنسيق الاحداث وموازنة

الشخصيات وتهذيب المستندات التاريخية من الزائف والدخيل وان لانستسلم للنقل اكثر مما نحتكم للعقل والوجدان، حتى نطل على ومضات تقودنا الى عالم النور والحق، الحق الذي يدعو أولئك السائرين دون عقولهم في عنجهية* وغلواء الى الصواب.

في هذا الكتاب نقف مع القارىء على الكثير من الحقائق التي زيفها التاريخ واستطرد بصفحاته القاتمة في رسم صورة سلبية نوعاً ما عن الامام الحسن عليه السلام، فإنا واياك مع نصوص تاريخية من مصادرها المستلة منها نصل الى نتائج معينة، ومقتعة ثم اننا لانريد ان نملي عليك قناعتنا ابداً، ولكن نملي عليك الدليل، واما التمرد على الدليل بلا حق ودليل ورفض الفكرة بلا تفكر فيها فهي الهوة التي لايختارها شريف ولا ينتخبها عاقل، وجهدتُ نفسي على ان تكون كل مصادر البحث من أهل السنة من القدماء والمحدثين واخيراً احمد الرب تبارك وتعالى على ما هداني ووفقني اليه.

---

*) التكبُّر والزهو والعناد.

لكي تعرفهما

في البدء أودُ أن أُعرّف القارىء بشكل موجز عن شخصية الامام الحسن عليه السلام وشخصية معاوية حتى يُعطى فيما بعد مطالعته للسيرة الذاتية المختزلة لهذين الرجلين الموازنة الصائبة ولنبدأ من هذا السؤال:

أولاً: من هو الحسن عليه السلام؟

١ـ أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وامه فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا النسب الصارخ في الشموخ والعلياء يغنيك عن تتبع طفولة الحسن وصباه، لأنه لا يدل الا على الطهارة والنقاء والعلم والحلم والكرم والشجاعة والمعنويات الروحية التي ينعدم مثيلها في غيره، فكان عظيم القدر والمنزلة فقد روي ان ابن عباس كان يأخذ بركاب الحسن والحسين وعندما اعترض عليه قال: أوليس من

سعادتي أن آخذ بركابهما[١].

٢ـ خلّد رسول الله صلى الله عليه وآله أوسمة لاتقاس بمقاييس المادة لولده الحسن عليه السلام منها:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

«من احبني واحب هذين ـ الحسن والحسين ـ واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

«حب آل محمّد يوماً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة» والحسن عليه السلام احد (آل محمّد) (عليهم السّلام) بل ابرزهم بعد أبيه.

وقال صلى الله عليه وآله «اللهم اني احبه»[٢].

٣ـ حب الامام الحسن عليه السلام واجب شرعي في الاسلام لقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الاّ المودّة في القربىٰ﴾ فقد حصَر أجر الرسالة في حب قرباه وهم أهل بيته والحسن منهم[٣].

---

١) ترجمة الامام الحسن من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص١٤٦ ح١٨٨ وأُسد الغابة: ج ٢ انظر ترجمة الحسن.

٢) تجد هذه النصوص في نور الابصار للشبلنجي: ص١٢٦ و١٢٧ وبعضها منفرداً في الصحاح الستة. وأُسد الغابة: ج ٢ ص٩ ـ ١٢.

٣) انظر إسعاف الراغبين: ص١٢٧ وينابيع المودة: ج ٢ ص ١٢٠ ط بيروت.

والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ومروج الذهب: ج ٢ ص ٤٣١ والبخاري: ج ٥ ص ٤٤ والترمذي: ج ٥ ص ٣٢٤.

٤ـ انه عليه السلام من اهل الكساء الذين أذهبَ الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[١].

٥ـ انه احد الثقلين الّذين قال رسول الله فيهم: «إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢].

فثقله في الأرض كثقل القرآن لانه عدله وترجمانه.

٦ـ انه اشبه الناس برسول الله خلقاً وخُلقاً[٣] اي ان أخلاقه هي أخلاق النبي فهو صاحب شمائل نبوية ومعاني رسالية تهز كل من نظر اليه وتجذب من جالسه فكان مجلسه كمجلس رسول الله صلى الله عليه وآله.

٧ـ انه من الخلفاء باتفاق المسلمين ولذا تراهم يدرجونه ضمن قائمة الخلفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله. كيف لا؟ بعد ما مرَّ عليك من الصفات والمناقب والفضائل التي تدل على سمو شخصه وكبرياء نفسه وشموخ أصله.

وقد بايعه المسلمون اختياراً منهم دون إكراه أو إجبار كأبيه المرتضىٰ علي عليه السلام.

---

١) نور الابصار: ص١٢٣ وينابيع المودة: ج٢ ومروج الذهب: ج٢ ص٤٢٩ وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٢٥ والفصول المهمة وانساب الاشراف: ج٣ ص٢٨ وصحيح مسلم: ج٧ ص١٣٠ واسد الغابة: ج٢ ص١٢.

٢) مروج الذهب: ج٢ ص٤٣١ والترمذي: ج٥ ص٣٢٨ ومسلم: ج٧ ص١٢٢ واسد الغابة: ج٢ ص١٢.

٣) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٢٦ والبخاري: ج١٤ ص١٣٧ كتاب بدء الخلق.

٨ـ وهو عليه السلام من أجود بني هاشم بعد أبيه فما عليك إلا أن تنظر الى ترجمته في أي مصدر شئت لترى ذلك فقد شاطر ماله وطلق الدنيا مراراً وحج خمساً وعشرين حجة[١].

ثانياً: من هو معاوية؟

١ـ أبوه أبو سفيان الذي لم يستقر الاسلام في قلبه قط وأُمه هند آكلة كبد سيد الشهداء حمزة[٢] وهو من المحاربين لرسول الله في بدر وأُحد والأحزاب.. وهو من الطلقاء بلا منازع وكان من الاحزاب الذين حاربوا رسول الله في معركة الخندق[٣].

٢ـ وهو من المؤلفة قلوبهم[٤].

---

١) المصدر نفسه وشذرات الذهب: ج ١ ص ٥٦ واسد الغابة: ج ٢ ص ١٣ وتاريخ الخلفاء للسيوطي وانساب الاشراف للبلاذري: ج ٣ ص ٨ وتاريخ الاسلام للذهبي: ج ٤ ص ٣٧.

٢) ابو معاوية (ابو سفيان) من ائمة الكفر وقد لعنه النبي في سبعة مواطن، انظر شرح النهج لابن ابي الحديد المعتزلي: ج ٢ ص ١٠٢ ومعاوية (يزيد) ايضاً ملعون على لسان النبي في حديث اللهم العن القائد والسائق والراكب انظر تاريخ الطبري ج ١١، وله اخ آخر هو (عتبة) كسابقه و(هند) ام معاوية كانت من ذوات الرايات و(حمامة) أُم أُم ابو سفيان ايضاً من ذوات الرايات انظر السفينة: ج ٢ وعمة معاوية (ام جميل) زوجة ابي لهب فيكفي في بيان حالها سورة كاملة في القرآن فهذه عائلة معاوية!!

٣) انظر قول زياد له (وبقية الاحزاب) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢١٨ وانظر رسالة الحسن له في شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤ ص ١٢.

٤) أسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٥.

٣ـ من الملعونين في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

٤ـ لم يكن من الخلفاء وانما من ملوك بني امية[٢] الذين احتلوا هذه المناصب بالسيف والارهاب والخديعة والكذب والتوصل اليها بكل وسيلة فكان معاوية أبرز من حَررَّ شعار الغاية تبرر الوسيلة.

٥ـ وقام بقتل الزاهد المعروف حجر بن عدي وسبعة من اصحابه. وقتله محمد بن ابي بكر بإحراقه والتمثيل بِهِ ومالك الاشتر عندما دُس اليه السم على يد عمرو بن العاص ودس السم الى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد[٣].

٧ـ أمره اهل الشام والكوفة بشتم علي بن ابي طالب عليه السلام في

---

١) في قوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ انظر الدر المنثور: ج٤ ص١٩١ وتفسير القرطبي: ج١٠ ص٢٨٦ والالوسي: ج١٥ ص١٠٧ وغيرها.

وانظر لعن معاوية في تاريخ الاسلام للذهبي: ج٤ ص٣٩ وفي ذم معاوية ايضاً انظر صحيح مسلم: ج٦ ص١٨ ط دار الفكر بيروت. وجاء في المستدرك على الصحيحين: ج٤ ص٤٨٧ ان النبي صلى الله عليه وآله قال: أن اشد قومنا لنا بغضاً بنو امية.

٢) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي حيث ينقل قول احمد بن حنبل: ان معاوية لم يكن احق بالخلافة في زمان علي غير علي.

وراجع ايضاً تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٦ عنوان ترجمة معاوية بعبارة: وملك معاوية. وانظر مختصر تاريخ العرب: ص٧٨ وستأتي بقية المصادر لاحقاً.

وانظر اخباره ضمن اخبار الملوك في كتاب التاج للجاحظ.

٣) الطبري: ج٦ ص١٤٣ وص٥١ والكامل: ج٣ ص٣٢٦ بيروت ومروج الذهب: ج٢ ص٤٠٩ وج٣ ص٣ وفتوح البلدان للبلاذري: ص٢٢٩ وتاريخ ابي الفداء: ج١ ص١٨٦ والبداية والنهاية: ج٦ ص٢٥٢.

قنوت الصلاة[1] وخطب الجمعة.

مع نص النبي على تنزيه علي «من سب علياً فقد سبّني»[2].

فقد سَنَّ هذه البَدعة والسُنة السيئة فكيف والنار مثوى لكل من سنَّ سنة سيئة[3] ويُعد من النواصب لسبه علياً.

٨ـ حارب امير المؤمنين علياً عليه السلام الخليفة الشرعي باتفاق المسلمين وخرج عليه في حرب صفين وأعلن تمرده عليه، ولم يكتف بهذا بل أخبر أهل الشام السذج أنَّ علياً قتل عثمان[4] فهو الخارج على إمام زمانه وراميه بالبهتان العظيم.

٩ـ منعه الارزاق عن شيعة علي لا لذنب سوى حبهم لعلي عليه السلام وإيصائه ولاته باقصاء أتباع أهل البيت عليهم السلام ومنع العطايا عنهم[5].

١٠ـ وكان مجلسه لايخلو عن الغناء والطرب[6] وكان ينفق على

---

١) المصدر نفسه: ص١٤١ وقال ابن الوردي في تاريخه ج١ ص١٦٠ عن حجر: وكان حجر من اعظم الناس ديناً.

٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الامام علي والمناقب: ص٨٢ ونور الابصار: ص٨٩.

٣) سنن ابن ماجة: ج١ ص٧٤ دار الفكر بيروت.

٤) الكامل: ج٣ ص١٦١ بيروت.

وذُكر في سنن ابن ماجة: ج١ ص٩٥٤ ط دار الفكر بيروت:

قال النبي صلى الله عليه وآله: «من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع الامام فقد اطاعني ومن عصى الامام فقد عصاني».

٥) الطبري: ج٦ ص١٤١ و١٤٢.

٦) المصدر: ص١٨٧ و١٨٨ وتاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٦٢ وتاريخ ابي الفداء: ج١ ص١٨٩ وكان معاوية يقول: ان الكريم طروب!!

المغنيين ما لاينفقه في محبي أهل البيت عليهم السلام. وقد صرَّح الجاحظ بِأَنَّ معاوية من اهل الطرب والغناء[١].

١١ـ مشاركته في قتل الامام الحسن عليه السلام حيث دس السم الى جعدة زوجة الحسن وواعدها انه يزوجها من إبنه يزيد بعد موت الحسن، ففعلت ذلك ولكنه لم يفِ لها بالوعد كعادته[٢].

والغريب في الامر ان ابن خلدون ذكر في تاريخه: وما يُنقل من ان معاوية دس اليه السم مع زوجته جعدة بنت الاشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا معاوية من ذلك...[٣].

ولا ادري لماذا يستبعد ابن خلدون هذا الفعل من معاوية؟

---

١) قال الجاحظ قلت لاسحق بن ابراهيم: هل كانت الخلفاء من بني امية تظهر للندماء والمغنيين؟ قال: أما معاوية ومروان وعبدالملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد فكان بينهم وبين الندماء ستارة وكان لايظهر أحدٌ من الندماء على ما يفعله الخليفة اذا طربَ للمغني والتذَّ حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرد حيث لايراه إلا خواص جواريه إلا انه كان اذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نعير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار قال صاحب الستارة: حسبك ياجارية كفي.. إنتهي.. أقصري يوهم الندماء ان الفاعل لذلك بعض الجواري، فاما الباقون من خلفاء بني امية فلم يكونوا يتحاشون ان يرقصوا أو يتجردوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنيين/انظر التاج في اخلاق الملوك للجاحظ: ص٣٨.

أقول: هل هناك تصريح أبلغ من هذا في كشف معاوية؟

٢) مروج الذهب: ج٢ ص٤٢٧ وتاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٥٨ وانساب الاشراف: ج٣ ص٤٨ ومقاتل الطالبيين: ص٤٧ وتاريخ ابي الفداء: ج١ ص١٨٣ ط القاهرة.

٣) تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص١٨٧ وقد انكر المؤرخ الذهبي ان يكون معاوية دس السم الى الحسن/انظر تاريخ الاسلام: ج٤ «عهد معاوية» ص٤٠.

فهل يتورع معاوية عن قتل انسانٍ واحدٍ وهو المسؤول عن الدماء التي أُريقت لآلاف المسلمين في صفّين.

وهو المسؤول عن الدماء التي اراقها عامله بسر بن ارطأة في المدينة!

وهو القاتل حجر ومالك ومحمد بن ابي بكر وو..

ولماذا يتورع من يكون دأبه القتل؟ ولماذا نستبعد ذلك من ملوك بني امية الذين ثبتوا ملكهم بالسيف.

اللّهمّ إلا ان نقول ان هوىٰ ابن خلدون كان أموياً صرفاً فيكون دفاعه عن معاوية أمراً طبيعياً، ولا نشك في انه اموي الاتجاه فانه القائل: وقد كان ينبغي ان تلحق دولة معاوية واخباره بدول الخلفاء واخبارهم... ولاينظر في ذلك الى حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة فانه لم يصح[1].

إنّه انكر حديثاً قد اتفق عليه اهل السنة والجماعة من اجل معاوية، ويجعل معاوية في مصاف الخلفاء وهو امر منكر لم يقربه عاقل، ثم ماهي اخبار معاوية التي تذكر مع أخبار الخلفاء؟ فانها مجموعة من

---

١) المصدر: ص١٨٨. وقد صرح الفضل بن روزبهان الناصبي بما يلي: فلا إهتمام لنا أصلاً بالذب عنه ـ معاوية ـ فانه لم يكن من الخلفاء الراشدين حتى يكون الذب عنه موجباً لاقامة سنة الخلفاء واما معاوية فانه كان من ملوك الاسلام والملوك في أعمالهم لايخلو مِنْه مطاعن، وصرح ايضاً ان رسول الله قال لعمار تقتلك الفئة الباغية وانه قتل في حرب صفين وان اصحاب معاوية قتلوه /انظر ابطال الباطل، المطلب الرابع في مطاعن معاوية.

المكر والخداع وحروب الباطل وسب علي والنيل من شيعته...

١٢ـ إنه أمير الفئة الباغية الخارجة عن الحق الى الباطل يقول أحد المؤرخين «وأستدل أهل السنة والجماعة على ترجيح جانب علي بدلائل أظهرها وأثبتها قوله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلّم لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية وهو حديث ثابت ولما بلغ معاوية ذلك قال: إنما قتله من أخرجه فقال علي عليه السلام: إذاً قتل رسول الله حمزة لانه اخرجه، وهو إلزام لا جواب عنه وحجة لا إعتراض عليها»[١].

والظريف ان هذا القائل يعتبر معاوية ميزان حب الصحابة ومفتاحهم ولكن لم يمنعه ذلك من الاعتراف ان هذا الميزان محسوب على الفئة الباغية.

١٣ـ خروج معاوية عن الاسلام وذلك بما أفاده إبن حزم حيث عدَّ أربعة أمور كل واحد منها يخرج الانسان عن الاسلام منها قتل

---

١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب: ج١ ص٤٥ وتجد حديث الفئة الباغية في سنن الترمذي: ج٥ ص٣٣٣ وسنن ابن ماجة: ج١ ص٥٢ ـ ٥٥ وتاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٥١ ومرآة الجنان: ج١ ص١٠٠ لليافعي وكتاب المحن: ج١ ابو العرب.

بل حتى المحبين لمعاوية من المعاصرين انكروا تأويل معاوية حيث قال: وهذا تعسف في التأويل ابتكره معاوية للتخلص من حديث رسول الله وهو ظاهر بأن عماراً تقتله الفئة الباغية»، انظر «علي بن ابي طالب عليه السلام» خير الله طلفاح: ص١٥٩ ط بغداد.

ويروي ابن كثير عن صفوان بن عمر قال: وكان علي واصحابه ادنى الطائفتين الى الحق من اصحاب معاوية وكان اصحاب معاوية باغين عليهم /انظر البداية والنهاية لابن كثير: ج٢ ص٢٢٥.

الحسين عليه السلام[١] ومعلوم ان يزيد وولاته سعوا واجهدوا انفسهم في قتل الحسين.

أقول: فاذا كان قتل الحسين موجب للخروج عن الاسلام فقتل الحسن كذلك لان الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ولان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة فهما بمنزلة واحدة، وَقَدْ عرفت سابقاً ان معاوية أحد الذين اشتركوا في قتل الحسن بان دس السم اليه، بل يكفي خروجه على الحسن. فيكون خارجاً عن دائرة الاسلام اذ لافرق بين الحسن والحسين.

هذا وقد قال التفتازاني: اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو اجازه أو رضي به قال والحق ان رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك واهانته اهل بيت رسول الله مما تواتر معناه... فنحن لانتوقف في شأنه بل في كفره لعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه[٢].

أقول: وهذا المعيار الذي ذكره التفتازاني نجده في شخصية معاوية فينطبق عليه الحكم ذاته لانه أعان على قتل الحسن وفرح بذلك[٣] واظهر سروره واهان اهل البيت وامر بسب علي على المنابر

---

١) المصدر السابق: ص٦٨.

٢) المصدر نفسه.

٣) انظر مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٣٠.

وقتل اتباعه.

فنقول وبكل اختصار ان حرب معاوية ضدَّ علي والحسن عبارة عن إعلانه الحرب لرسول الله ﷺ فانه يثأر لحرب بدر والاحزاب ولا أظنك تشك في كفر من حارب رسول الله، ولاتعتقد ان ذلك مجرد استنتاج بل تدل عليه الاخبار منها ما قاله رسول الله ﷺ لأهل بيته:

«انا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم»[1].

١٤ـ تنصيبه يزيد ملكاً من بعده بقوة السيف وامر عماله ان يأخذوا البيعة له من الناس وفي يزيد قال الذهبي: كان ناصبياً فظاً غليظاً يتناول المسكر ويفعل المنكرات افتتح دولته بقتل الحسين وختمها بوقعة الحرة[2].

ويقول الحسن البصري: أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده إبنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجر

---

١) البخاري: ج ٥ ص ٥٢ دار الفكر بيروت والمناقب: ص ٩١.
والترمذي: ج ٥ ص ٣٦٠ دار الفكر بيروت وكنز العمال: ج ٢ ص ٩٧ ح ٣٤١٦٤.
٢) عن شذرات الذهب: ج ١ ص ٦٩.

واصحاب حجر[١].

ولم يكن تنصيب يزيد من اجل الحرص على مستقبل الاسلام ابداً ولا فيه من الكمال ما يدعو لذلك كيف وهذا المسعودي يصفه «يبادر بلذته ويجاهر بمعصيته ويستحسن خطأه ويهون الامور على نفسه في دينه اذا صحت له دنياه»[٢].

ولانريد ان نسترسل في ذكر كلمات ومصادر فسق وخروج يزيد عن الاسلام اذ أمره مشهور.

١٥ـ تنصيب معاوية الارهابيين الذين سجّل لهم التاريخ صفحات قاتمة وسطوراً مظلمة تشمئز منها النفوس انه بُسر بن ارطأة العامري أمير معاوية فقد خدّ الاخاديد لاتباع اهل البيت وله اخبار ينزف القلب منها دماً ويندىٰ لها الجبين[٣] ومنهم المغيرة بن شعبة المشارك في قتل حجر بل المحرض عليه والمعروف بسبه لعلي والامر به والمروّج له، واستلحاق معاوية زياداً واعتباره من اولاد ابيه وهو من

---

١) الكامل: ج ٣ ص ٢٤٢.

٢) التنبيه والاشراف: ص ٢٦٥.

٣) انظر تفاصيل ارهابه في تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٨٠ والكامل: ج ٣ ص ٢٥٠ وشذرات الذهب: ج ١ ص ٦٨ وتاريخ ابن الوردي: ج ١ ص ١٥٤ وغيرها.

ولقد مات بُسر بن ارطأة شر ميتة حيث اراد الله تعالى ان يجعله عبره لكل الظالمين يروي المسعودي ان بُسر مات وهو يأكل خرأه وكان ربما شُدت يداه الى خلف حتى لايتناول خرأه ولكنه كان يهوي على خرئه بفمه فيأكل منه وهذا مصير الجبارين انظر تمام في مروج الذهب: ج ٣ ص ١٦٢ ط دار الاندلس بيروت.

الاعمال المخالفة للسنة حيث قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش...[١] ثم ما ادراك ما زياد؟

يذكر البلاذري فيقول:

حدثني أبو مسعود عن ابن عون عن أبيه قال: لما ادعىٰ معاوية زياداً وولاه طلب زياد رجلاً كان دخل في صلح الحسن وأمانه فكتب الحسن فيه الى زياد ولم ينسبه الى اب فكتب اليه زياد.

أما بعد فقد اتاني كتابك في فاسق تؤي مثله الفساق من شيعتك وشيعة ابيك فايم الله لاطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فان احب لحم اليّ ان اكله للحم أنت منه![٢] ومن هذا النص تتضح شخصية زياد الدموية التعسفية.

ومنهم مروان بن الحكم حيث نصبه والياً على المدينة مع انه احد المسببين لقتل عثمان وأحد المانعين من دفن الحسن جوار رسول الله[٣] وهو من ابناء الطلقاء والمبعدين عن المدينة واشتهر عداءه للرسول واهل بيته وسأكتفي بذكر شاهد واحد من تاريخه القاتم.

لقد اعترض عليه ابو هريرة وقال له: اتمنع من ان يدفن الحسن جوار جده وقد قال فيه رسول الله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب

---

١) البخاري: ج ٣ ص ١٦٨ كتاب الفرائض.

٢) اشراف الانساب للبلاذري: ج ٣ ص ٥٢.

٣) المصدر نفسه وتاريخ ابي الفداء: ج ١ ص ١٨٣.

أهل الجنة»؟

فقال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله لو كان لايحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري[١]! وقد دفعه معاوية أيضاً لمنع دفن الحسن عند جده[٢].

ووازِنْ على ذلك بقية عمال معاوية، فها هو معاوية بحقيقته التاريخية التي لاتقبل التأويل.

---

١) المصدر نفسه: ص ٦٠ ـ ٦٥.

٢) المصدر نفسه: ص ٦٢.

قميص عثمان

وهناك امور وحوادث تاريخية هي الاخرى تتصل بموضوعنا من قريب أو بعيد نشير اليها حتى تكتمل الرؤية ونكون قد احطنا بالموضوع ومن ذلك قتل عثمان بن عفان.

فقد يقال ان معاوية في حربه ضد امير المؤمنين علي عليه السلام كان يطالب بدم عثمان وكان يعتقد ان القتلة في جيش علي عليه السلام فحروبه مع علي والحسن عليهما السلام كانت من باب الاجتهاد وذلك لايخرجه عن دائرة الاسلام.

ولنا ان نجيب على ذلك:

أولاً: بحديث الفئة الباغية التي تقتل عماراً عليه الرحمة وكانت فئة معاوية، فان قيل ان ذلك لايخرجه عن الاسلام.

فنقول: كلا بل يخرجه لان سفك الدماء الطاهرة وازهاق الارواح البريئة اكبر جناية في الاسلام، ومن ناحية اخرى فان محاربة

الانسان الكامل ـ علي عليه السلام ـ قبيح من ناحية العقل والشرع.

وثانياً: ويتأكد ما قلناه اذا عرفنا ان معاوية ومن كان حوله امثال عمرو بن العاص ومروان هم المسؤولون عن قتل عثمان ولعله كان بتدبير دقيق من قبلهم فان معاوية تناقل عن نصرة عثمان بن عفان بل كان ينتظر بفارغ الصبر موته وهذه حقيقة تاريخية قد غابت عن اذهان العثمانيين وها نحن نؤكدها لهم عبر بعض الادلة ليتضح لهم من هو المسؤول عن دم عثمان؟ وما هو المراد من رفع قميصه؟

أ ـ ان معاوية كان قد علم ان ملكه يبدأ بعد موت عثمان على ما أخبره به الملك قلفط بن مورق ملك الروم وكان ذلك من علم الملاحم يتوارثه ملوك الروم[1] وكان بين هذا الملك ومعاوية علاقة حميمة وجيدة.

ولذا فمن المستحيل ان يقدّم معاوية الاعانة الى عثمان وهو يعلم ان ملكه يبدأ بانقراضه.

---

١) مروج الذهب: ج ١ ص ٣٦٣.

وأيضاً ذكروا «ان معاوية بعث الى صاحب الروم يسأله من الخليفة بعد عثمان قال: فدعى صاحب الروم مصحفاً فنظر فيه فقال: الخليفة بعده معاوية» انظر كتاب الفتن للمروزي: ص ٦٤ و ٦٩ ط دار الفكر في بيروت.

بل أقول ان معاوية كان ينتظر هذا الموقع منذ ايام ابي بكر وعمر كما اشار الى ذلك محمد بن سيرين حيث قال: والله اني لاراه ـ معاوية ـ كان يتصنع لها أي الخلافة على عهد ابي بكر وعمر أنظر المصدر السابق: ص ٧٠.

ب ـ ومن الشواهد على تدبير هذه الخطة من قبل معاوية ومروان ومن دار في فلكهما حادثة مهمة تؤكد ذلك وهي ان مروان بن الحكم رمى طلحة بسهم فقتله وكلاهما كانا مع عائشة، قيل اخذاً بثار عثمان لانه نسبه الى الاعانة عليه!![١] وواضح ضعف التعليل والتوجيه، لان مروان هو الذي سبب القتل لعثمان فحال طلحة لايفرق كثيراً عن حال مروان، ولكنه قتله وسط أجواء الحرب ليقال مرة اخرى ان علياً قتل طلحة من جهة وللخلاص منه من جهة اخرى، لانه كان نداً له ولان طلحة كان على علم ان المسؤول عن قتل عثمان هو مروان وهذا ما قاله ابن عباس لمروان بن الحكم: وانك لتقول ذلك يا عدو الله وطريد رسول الله والمباح دمه والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع اوداجه وركوب اثباجه اما والله لو طلب معاوية ثأره لاخذك به ولو نظر في امر عثمان لوجدك اوله واخره[٢]. وما أدراك فقد يكون فعل مروان بتدبير من معاوية وهو إحتمال ليس ببعيد، بل يترقىٰ عن كونه إحتمالاً الى الحقيقة التي ادلىٰ بها ابن عباس

قائلاً لمعاوية: أنت قتلت عثمان وسكوت معاوية عن ذلك[٣] فإن لم تقبلها كحقيقة فإقبلها كاحتمال وهو ان معاوية دفع مروان لخلق

---

١) تاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٤٩ ط دار الكتب العلمية.

٢) قصص العرب: ج٣ ص١٢٩.

٣) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٢٣ و٢٢٤.

التوتر ضد عثمان للخلاص منه باسرع وقت ممكن «ثم عمرو بن العاص كان في طليعة من رفع علم الثورة على عثمان لانه عزله من منصبه وهو الذي خدع الجيش العراقي برفع المصاحف»[1] وسنأتي على ذكره.

جـ ـ ولما أفضى الامر الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له معاوية: كيف وجْدُكَ على خليلك ابي الحسن؟ قال: كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير، فقال معاوية: أكنت فيمن حضر قتل عثمان؟ قال: لا ولكني فيمن حضر فلم ينصره قال: فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة؟ قال: منعني ما منعك اذ تربَّصَ به ريب المنون وانت بالشام قال: أو ما ترى طلبي بدمه نصرة له؟ قال: بلى ولكنك واياه كما قال الجعدي:

لا الفينك بعد الموت تندبني   وفي حياتي ما زودتني زادا[2]

«فلما ورد كتاب عثمان الى معاوية آثر ان ينتظر عقبىٰ الصراع... واستبطأ عثمان رد معاوية ولكنه علم انه يتربص ليرى نتيجة الحصار... ثم قام أصهار عثمان ـ أهل زوجته نائلة ـ الى نصرته على الرغم من تثاقل معاوية»[3].

فمعاوية هو الذي امر جيشه بالتوقف عند حدود الشام وعدم

---

١) اهل البيت: ص/٣٣٥توفيق ابو علم ط القاهرة.

٢) مروج الذهب: ج٣ ص١٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٠٠.

٣) علي إمام المتقين عبدالرحمن الشرقاوي: ص٢٠٧ كاتب مصري.

الدخول الى المدينة وقدْ صرحِ شبث بن ربعي لمعاوية بهذه الحقيقة قائلاً له: وقد علمنا أن قد ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التي اصبحت تطلب[١].

وذكر هذا الامر المؤرخ اليعقوبي فراجع.

د ـ هذا وقد صرح له الامام علي عليه السلام أن قتلة عثمان طلحة والزبير[٢] الا ان نظرته اليهما كانت نظرة إجلال وإكبار لا لشيء سوى إنهما خرجا في حرب علي عليه السلام، فاتفقت سياستهم في نصب العداء لعلي عليه السلام مع علم معاوية انهما من جملة القتلة ولكن معاوية لم يطلب هذا حقيقة انما كان يطلب جسراً يعبر من خلاله لتحقيق احلامه في الهيمنة.

هـ ـ ولايخفىٰ على أحد ان اكبر المحرضين على قتل عثمان هو عمرو بن العاص وعائشة التي كانت تنادي اقتلوا نعثلاً[٣] ولاشك فان مثل هذه الدعوات ومن قبل عائشة كانت تؤثر كثيراً فيمن يرى عائشة مثالاً اعلى فكانت المحرضة لقتله ثم المحرضة للطلب بدمه من علي وكأن علياً عليه السلام هو الذي قتله فقادت حرب الجمل ضد امام زمانها وقد قال رسول الله: «لن يفلح قوم ولو أمرهم إمرأة»[٤] ولم تكن حرب

---

١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٤٣.

٢) مروج الذهب: ج٢ ص٣٥٥.

٣) انظر تفاصيل الفتنة في «اشتراكية عثمان» لمحمود شلبي و«علي وعصره» لجورج جرداق.

٤) صحيح البخاري: ج٢٤ ص١٧٣ كتاب الفتن.

الجمل الا إفراز طبيعي للحقد الذي تكنه عائشة لعلي عليه السلام فانها هي التي روت عدم وصية النبي لعلي في مرض موته[١] بل هي التي لاتطيق ان تذكر اسمه أو تسمعه[٢] فكيف بها تراه شاخصاً في ولاية المسلمين فمطالبتها ومعاوية بدم عثمان من علي عليه السلام ما كان في الحقيقة الا نوع استغفال لعقول الناس البسطاء وما أكثرهم اذ المهم عندهم تحريك الاجواء ضد امير المؤمنين علي وقد صرح بذلك مروان بن الحكم وهو العنصر المهم في هذه الاحداث، قال مروان بن الحكم: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم ـ يعني دفع علي عن عثمان ـ قال: قلت له: فمالكم تسبونه على المنابر؟ قال: لايستقيم الامر الا بذلك[٣].

اذن فما لهم لايلاحقون قاتل عمر وماهم لايلاحقون المرأة اليهودية التي سمت رسول الله بذراع شاة!!

والسؤال المهم هو: ما العلاقة بين الطلب بدم عثمان وتمسك معاوية بالخلافة؟

فان نضال معاوية كان من اجل الحصول على الملك وليس طلباً لدم عثمان اذ لا ربط بينهما، فكان لمعاوية ان يطلب بدم عثمان بدون التمسك بالشام اذ يعرض هذا الموضوع أمام امير المؤمنين ويجري الامر

---

١) المصدر: ج١٦ ص٢٤٨ كتاب بدء الخلق.

٢) المصدر: ص٢٤٠.

٣) ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣ ص٩٩.

حسب القضاء الاسلامي. ولكنه لم يرد ذلك لانه لايريد دم عثمان وانما الملك.

«لقد حمل قميص عثمان الذي قتل فيه الى معاوية فنشره عند المنبر في المسجد ودعا الناس الى الاخذ بثأره وظل هذا القميص منشوراً وكان الهدف من نشره تجميع اكبر عدد من الناس للمطالبة بدمه دون تريث الى ان تهدأ احوال المسلمين ويستتب الامن والنظام، واصبح قميص عثمان مثلاً سائراً يضرب به الناس لاستغلال الموقف وتعجل الامور»[1].

ولكن معاوية جمع الاجناد كلها حال حياة عثمان ولم يقدم على نصرته في حياته!! «ولم يفعل معاوية شيئاً للدفاع عن عثمان رغم انه كان يملك كل وسائل الدفاع عنه»[2] والسبب هو «ان معاوية كان من المؤمنين بضرورة تواري عثمان وقد أصبح له من القوة في الشام مما يجعله جديراً بأن يفكر في تحقيق ما يطمع فيه...»[3].

و ـ يقول محمود شلبي: وكان السبب في ذلك ـ قتل عثمان ـ ان عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر.. انتقل الى المدينة وفي

---

١) سلسلة آل بيت النبي: ج١ ص٣٨٠ / مجموعة كتّاب من السنة.

٢) سلسلة في رحاب النبي وآل بيته: ج٧ ص٧٤ / د. محمد بيومي مهران كاتب معروف.

٣) علي وعصره /جورج جرداق.

أقول: ذكر ابن الاثير ان عمرو كان يأتي المدينة احياناً وكان يطعن على عثمان فلما قتل سار الى معاوية وعاضده!! (أُسد الغابة: ج٤ ص١١٧).

نفسه من عثمان أمر كبير وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان وان عمرو بن العاص أصبح عنصر إثارة في المدينة وما ادراك ما عمرو بن العاص)؟

ويقول عن مروان تحت عنوان «مروان يشعل النار»:

فخرج مروان الى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال: «ما شأنكم كأنكم قد جئتم لنهب... شاهت الوجوه كل انسان آخذ باذن صاحبه إلا من أريد. جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا...».

لقد القى مروان كلامه فكان كأنما يلقي حجارة فيوجوه القوم ولقد بدت الحقيقة من فمه جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا، ان الامر في تصوره ملك لاينبغي ان ينزع من بني امية وكان هذا الشؤم من مروان الذي عجل بانفجار الثورة بعد ذاك!!!

وهذا ما افادته نائلة زوجة عثمان حين قالت له: أنك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة[1].

يقول الشرقاوي:

وأحسَّ علي عليه السلام بأن ثمة مؤامرة كاملة وان هناك خيوطاً تربط

---

١) إشتراكية عثمان: ص٣٠٨ / محمود شلبي كاتب معروف.

ولايخفىٰ عليك ان الحكم والد مروان طرده رسول الله ولعنه ولم يدخل المدينة الا في زمن عثمان /انظر المعارف لابن قتيبة: ص١٩٩، ط بيروت.

الساخطين في كل الامصار لعله ليس السخط وحده فلاريب ان هناك من يستثمر هذا السخط ليشعل الفتنة...

ذلك ان عمرو بن العاص لم ينس لعثمان انه عزله وكان له ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحته، فكان يأتي علياً عليه السلام مرة يحرضه على عثمان فينهره علي عليه السلام فيأتي الزبير ويأتي طلحة فيؤلبهما على عثمان ويعترض حجاج بيت الله والمعتمرين فيكلمهم بما احدث عثمان[1].

فيتضح ان قتلة عثمان كانوا على أقسام:

١ـ القسم الأول: الذين شنوا حملات إلامية واسعة النطاق للنيل من عثمان وغذوا عقول الناس بهذه الدعوات وحرضوهم ضد عثمان ولكنهم بنفس الوقت كانوا اذكياء اذ لم يباشروا عملية قتله بل ألّبوا الاوضاع وصنعوا الاجواء ضده وهم عائشة وعمرو بن العاص وطلحة...[2] وهؤلاء الذين قال عنهم الامام علي (انهم يطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه).

وكل منهم كانت له طموحات تتصل بزعامة المسلمين.

٢ـ القسم الثاني: وهم الذين تضرروا من سياسة عثمان بشكل

---

١) علي إمام المتقين: ص١٩٧ / عبدالرحمن الشرقاوي ـ كاتب مصري.

٢) قال الذهبي: ثم ان طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة ندموا وعظم عليهم قتل ـ عثمان ـ ورأوا انهم قصروا في نصرته../انظر دول الاسلام: ص٢٠.

أقول: قوله انهم ندموا يكشف عما ذكرناه سابقاً نعم وهناك أدلة اخرى ليس هنا محل ذكرها انظر الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام للسيد مرتضى العاملي.

مباشر أو غير مباشر وقاموا بقتله اخيراً[١].

٣ـ القسم الثالث: وهم حاشية عثمان الذين التفوا حوله امثال مروان وباقي بني امية والذين اشعلوا فتيل الثورة ضده بسياستهم الخائرة واسلوبهم الجاهلي وعنصريتهم التي كانت جزء مِنْ وقود الثورة. وقد قال عثمان لمعاوية حينها «ولكنك يامعاوية اردت أن أُقتل فتقول أنا ولي الثأر»[٢]. وقد أشار النظّام الى هذاالقسم الثالث بقوله: وتقليده ـ اي عثمان ـ الوليد بن عقبة الكوفة وهو من افسد الناس ومعاوية الشام وعبدالله ابن عامر البصرة وتزويجه مروان بن الحكم ابنته وهم أفسدوا عليه امره[٣].

فهذه هي الحقيقة في قتل عثمان ومن الخطأ ما قاله بعضهم إن السبب في قتل عثمان حسد العرب من الذين كان لهم سابقة في الاسلام والفتوحات لما تجره من تغيير طبيعة المجتمع[٤] فالصحيح ما قلناه من خطأ سياسة عثمان وعدم التزامه بآراء الإمام علي عليه السلام وإيكال اموره

---

١) قال الذهبي: ثم اخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان لكونه يعطي المال لاقاربه ويوليهم الولايات الجليلة فتكلموا فيه وكان قد صار اليه أموال عظيمة وله ألف مملوك وآل بهم الامر الى أن قالوا: هذا ما يصلح للخلافة... /المصدر نفسه: ص١٦.

وانظر بعض التفاصيل فى كتاب السيف والسياسة للكاتب العصري صالح الورداني.

٢) انظر كتاب علي وعصره /جورج جردان: ص١٧٩.

٣) الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص٥٧، دار المعرفة ـ بيروت.

٤) فصل الخطاب في مواقف الاصحاب /محمد صالح احمد الغرسي.

الى مروان وحاشيته من بني امية الذين اشعلوا الفتيل مع تحريض الاخرين عليه لدوافع متعددة.

وبعد هذا العرض الموجز لشخصية الحسن عليه السلام وشخصية معاوية أظنك تتفق معي على ان الاول كان من اهل الآخرة والثاني من أهل الدنيا والاول رجل المبادىء والعقيدة والمواثيق والثاني رجل المصالح والماديات، والاول يخوض الحرب من أجل الاسلام، والثاني يخوضها من أجل العرش.

وها هو ذا الحسن يعطي الشهداء من أجل شريعة جده وها هو الثاني يقدم قرابين عرشه وسلطانه وكم وكم الفارق بينهما؟! وما أوسع الهوة بين الحسن عليه السلام ومعاوية؟. حتى لتنعدم كل الكلمات التي قد تدعوك الى إعلان المساواة بينهما.

ومن هنا يبدأ وميض الفتنة باللمعان من جانب معاوية ويبدأ بريقُ القيم في جانب الحسن عليه السلام على ما عرفت من ترجمتها المختصرة.

وقد تقول في نفسك إن لمعاوية فضائل ذَكَرتها كتب أهل السنة فأين موقعها من حياة معاوية؟

فأقول لك ما قاله احمد بن حنبل لولده قال: سألت ابي عن علي ومعاوية؟ فقال: إعلم أن علياً عليه السلام كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عن عيبٍ.

فلم يجدوا فجاؤوا الى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه إكياداً

منهم له[1].

ثم إنَّ الذين رووا فضائل معاوية كلهم متهمين ومعروفين بالوضع فمثلاً علي بن عبدالله البرداني قال عنه الخطيب: ليس بشيء، أُتهمَ بالوضع وضعّفه الذهبي ايضاً، فانه يروي عن ابي هريرة قال رسول الله «الأمناء عند الله ثلاثة: انا وجبرائيل ومعاوية»!!![2].

ومثل هذه الرواية حيك منها العشرات في ظلام الليل وفي البلاط الاموي ولا ادري كيف اقتنع بعض الكتاب المحدثين بهذه الروايات مع وضوح الكذب فيها ورفضها من قبل المشايخ والعلماء.

وكيف يكون معاوية من امناء الله تعالى مع عدم وفائه للحسن عليه السلام بالشروط التي اشترطها عليه وسبه لعلي وقتله للابرياء؟

أم أنّ أمناء الله هكذا يفعلون؟

وفي الحقيقة ان معاوية كان انكىٰ مما ذكره ابن حنبل فمثلاً أذكرُ على سبيل المثال لا الحصر شاهداً تاريخياً يوضح ضحالة شخصية معاوية وعدم رعايته لادنى القيم والآداب ناهيك عن مخالفاته الشرعية:

حَدّث ابو جعفر محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي، عن ابي مجاهد عن محمد بن إسحاق عن ابن ابي نجيح قال: لما

---

١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٩٩ وفتح الباري: ج٧ ص١٠٤.

٢) ميزان الاعتدال للذهبي: ج٣ ص١٤٢ دار احياء الكتب العربية /القاهرة.

حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية في علي عليه السلام وشرع في سبه، فزحف سعد ثم قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي عليه السلام، والله لَئِن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلي عليه السلام أحب اليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس: والله لَئِنْ أكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأن لي من الولد ما لعلي عليه السلام أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لَئِنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه»، أحبُ اليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لَئِنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قاله له في غزوة تبوك: ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لانبي بعدي؟ أحبُ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ثم نهض.

فَضَرَط له معاوية!! وقال له: إقعد حتى تسمع جواب ما قلت:...[1]

أقول: فأي والٍ هذا الذي يضرط وفي مجلس عام؟.. وهل له طريقة في الحوار غير هذه؟ فانظر عزيزي القارىء لما حلَّ بالمسلمين

---

١) مروج الذهب: ج٣ ص١٤ و١٥.

بان يكون واليهم وممن يدعي الخلافة يقوم بهذه الأفعال التي يندى لها الجبين. وقد يكون الأنكى من كل هذا ما ذكره البيهقي عن الشعبي عن عمرو بن العاص ان معاوية لما دعاه عليٌّ ؛ في صفين الى البراز بال في ثيابه!!![1].

وقد علم القارىء من خلال ما مر أن أفعال معاوية لم تكن من باب (أجتهدَّ فاخطأ) أبداً بل مجموعة حركات سياسية خبيثة للخلاص من عثمان وهكذا أولئك الذين شنوا حرباً إعلامية ضد عثمان!.

---

١) المحاسن والمساوىء: ج١ ص٣٧ و٣٨.

سر النزاع

النزاع الحاصل بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية لم يكن نزاعاً طارئاً وليد تلك الحقبة التي عاشاها، ولم يكن الدافع له هو كراهية معاوية لخلافة الحسن فحسب عليه السلام وانما ما حصل هو تتمة لسلسلة النزاعات والحروب التي ابتدأت من بدر الكبرىٰ ولا تنتهي الى خروج المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله الا أن معاوية كان المنفّذ الكبير لترسيخ الحرب والحقد والبغض لآل النبي وتكريس هذا الامر كنهج يتوارثه الناس من اجل تذويب خط اهل البيت وتحجيمه وبالتالي إبداله بنهج بني أمية، ولكن الله بالمرصاد، فأزدادت مخاوف معاوية عندما استلم الامام الحسن عليه السلام الخلافة لان ذلك يعني إستمرار نهج علي عليه السلام في الحياة وتحقيق أهداف دولة علي عليه السلام في عالم الاسلام والتي اولها إزالة الوالي والعامل المعزول ـ معاوية ـ.

ومجيء الحسن الى رأس السلطة معناه إزاحة الظالمين وتخليد

العدل في دنيا الاسلام وتجسيد القيم في كل موقع يتحرك فيه المسلمون وهذا مما يتعارض مع سياسة معاوية الهادفة الى إشباع الرغبات وترسيخ الطبقية وإبعاد الرساليين عن الدوائر المهمة وتضخيم الأراذل والسفلة ورفعهم الى مواقع خطيرة.

فمعاوية يعمل على صناعة بدائل حياتيّةٍ على اهواء تحل محل أهل البيت (عليهم السّلام) بحيث تحقق هذه البدائل كل الاحلام الوردية لمعاوية.

ولذلك شَعَرَ معاوية بالخطر الذي يهدده مرة ثانية، فإنه لم يصدق خبر إستشهاد امير المؤمنين علي عليه السلام واذا بالحسن عليه السلام يتربع على العراق ويتكلم بلسان أبيه ومفردات جده فإنه لا يهجس بغير التفكير بالقيم الانسانية والمعنويات الاسلامية وها هو يستحث المسلمين الى الانتصار للإسلام المحمدي ولكن على أنّ يكون الانتصار علوياً لانها سياسة علي عليه السلام التي اورثها الكوفة فها هو الحسن عليه السلام يعيش سبحات الروح ومؤهلاته التي ترشحه للخلافة المطلقة التي يعمل الحسن عليه السلام من خلالها لتأصيل السلطة الروحية المفعمة بالمبادىء الانسانية والقيم الاسلامية.

فبدأت الهواجس تداعب العدو التقليدي لاهل البيت (عليهم السّلام) وتقلقه من أكتساح الحسن عليه السلام لساحة العراق والحجاز فكان لابد من إيقاف طموحات الحسن عليه السلام وخلق التوترات داخل العراق

لزعزعة الصف «فانفذ رجلين.. أحدهما من حمير الى الكوفة وآخر من بني القين الى البصرة ليطالعه بالاخبار ويفسدا على الحسن عليه السلام الامر ويغيّرا عليه قلوب الناس»[1].

واستخدم الاشعث بن قيس وشبث بن ربعي لنفس الغرض وكان يُمنّيهما بالمال[2] ولم يترك معاوية الطابور الخامس أو الحرب الباردة لإفساد الأمر على الامام الحسن عليه السلام كما سنذكر ذلك لاحقاً وكان هذا أحد أسباب ارادة معاوية للحرب.

من هذا يتبين أن النزاع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية نزاع بين الحق والباطل، لأنَّ اتفاق المسلمين قام على أنّ الامام الحسن عليه السلام إبن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من سادة اهل الجنة قَدْ بايعه المسلمون باختيارهم على العكس من معاوية[3] وكل من حاول أن يقول إنَّ حرب معاوية

---

١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي والارشاد للمفيد: ص١٨٨ ومقاتل الطالبيين: ص٣٣.

٢) الارشاد للمفيد: ص١٨٨.

٣) واحضر الناس لبيعته وكان الرجل يحضر فيقول: والله يا معاوية إني لأبايعك وإني لكاره لك...

ويأبىٰ الاخر فيقول: أعوذ بالله من شر نفسك.

واتاه قيس بن سعد وقال له: إن كنت لاكره مثل هذا اليوم.

ودخل عليه سعد بن مالك فقال: السلام عليك أيها الملك.

فغضب معاوية فقال: الا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال: ذاك ان كنا أَمَّرناك إنما انت منتز.

إنظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٦ و٢١٧.

ضِدَّ علي ومن ثم مع الامام الحسن كان باجتهاد من معاوية وإنه إجتهد فأخطأ، فإنّي أقول لهم:

أين يقع هذا الاجتهاد؟ فلا وجود له الا في دائرة الباطل واذا كان كذلك فليجتهد من الليل الى الصباح بعدما اجمع الكل أن علياً عليه السلام مع الحق وأن عمار تقتله الفئة الباغية. وقد تقدم الكلام منا بما فيه الكفاية.

وليجتهد أسلاف معاوية في الدفاع عنه لان الطيور على اشكالها تقع ولا يحسب أصحاب الأقلام المأجورة إنهم مسحوا عار معاوية وضلالاته بترهاتهم وبما أطروه من ألفاظ وألقاب فإنّ الحق ظاهر والباطل زاهق.

وما خلاف معاوية ومحاربته للامام الحسن عليه السلام إلا صورة طبق الأصل لما أحدثه واصطنعه ابوه ضد رسول الله صلى الله عليه وآله عندما دعاهم الى دين الله القويم وترك الوثنية الصنمية والفكرية فتصدى أبو سفيان اولاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من خلال تلويث سمعته بأنّه شاعر وأنه مجنون وأنه معلّم وو... ثم قاد الحروب الكبيرة ضِدَّ النبي صلى الله عليه وآله وهكذا حاول الإبن إعادة تلك الصور الجاهلية لأبيه واجداده من خلال تجميع أفراد وطوائف تركض وراء المال والشهوات وتخشىٰ بطش معاوية كما كانوا يخشون بطش أبي سفيان وقطعه الارزاق عنهم.

وهكذا تتسع صورة النزاع باتساع قاعدة التخلف التي يكرسها

معاوية لأنها الوعاء الذي يستطيع أن يبقىٰ فيه طويلاً، ويسعىٰ الحسن عليه السلام لإيصال كلمة ﴿قولوا لا اله الاّ الله تفلحوا﴾ ليقتلع جذور الخوف وحب الدنيا من عقول وقلوب المتخلفين كما اقتلع جده صلى الله عليه وآله جذور الوثنية من آبائهم.

فالنزاع في الواقع نزاع بين الحق وصورته الحسن عليه السلام والباطل وصورته معاوية، وبين العقل والشهوات وبين الحضارة والتقدم الاسلامي والسلفية الأموية التي تسعىٰ لإعادة الوثنية والتخلف.

يقول احد المؤرخين «وسمّي ذلك العام ـ عام الصلح ـ عام الجماعة عندما نسي الناس النبوّة والخوارق ورجعوا الى أمر العصبية والتغالب[1] وهذا ما يسعىٰ إليه بنو أمية وأكثر.

---

١) سمط النجوم العوالي /العصامي: ص٦ ط القاهرة.

مَن دفع معاوية لحرب علي والحسن عليهما السلام؟

اولاً: لم يُشجّع معاوية على محاربة علي والحسن عليهما السلام الا ما فعله ابو بكر وعمر وعثمان الذين غصبوا حق علي عليه السلام في الخلافة وكان فعلهم دافعاً كبيراً لتحريض معاوية ولتكريس منطق القوة ضد اهل البيت (عليهم السّلام)، وقد يتصور بعض الناس ان هذا مجرد رأي أو تحليل، ولكنني أقول إن هذا عين الحق وأصوب الاراء فمن تتبع سيرة الأولين ثم سيرة معاوية لظهر له ما قلناه، ثم هاهو ذا معاوية يعترف بهذه الحقيقة المهمة التي يجب أن يلتفت اليها أبناء العامة والجماعة وسأكتفي بذكر هذا الشاهد التاريخي لانني فصلت الكلام تقريباً في (البيعة بين الحقيقة والوهم):

في معرض جواب معاوية لكتاب محمد بن ابي بكر يقول معاوية: «فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفىٰ به رسول الله صلى الله عليه وآله مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف ذكرتَ فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله ومواساته إياه في كل هول وخوف فكان

احتجاجك عليَّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد رباً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وابوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحَقّه لازماً لنا مبروراً علينا فلما آختار الله لنبيه ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته وبلج حجته وقبضه الله اليه، فكان ابوك وفاروقه أول مَن إبتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك آتفقا وآتسقا ثم إنهما دَعواه الى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما[1] وأقاما لايشركانه في أمرهما ولايُطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله، ثم قام ثالثهما الى أن يقول: ابوك ـ اي أبو بكر ـ مهد مهاده وبنىٰ لملكه وساده فإن يكُ ما نحن فيه صواباً فأبوك إستبدَّ به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن ابي طالب، ولسلَّمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك»[2].

---

١) لقد حاولا قتل علي عليه السلام وقاما بإحراق بيته، ذكرنا تفصيل ذلك في (الزهراء لِمَ لَم تذكر مأساتها) و(عظمة الصديقة فاطمة الزهراء) و(البيعة بين الحقيقة والوهم) واثبتنا في الاخير ان علياً عليه السلام لم يبايعهما وذكرنا ادلة ذلك فراجع.

٢) انظر مروج الذهب: ج٣ ص١٢ ط دار الاندلس ـ بيروت.

وقد ذكر النظام: انه لا إمامة الا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً وقد نصَّ النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام في مواضع وأظهرهُ إظهاراً لم يشتبه على الجماعة، إلا أن عمر كتمَّ ذلك وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة /انظر الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص٥٧ دار المعرفة ـ بيروت، ومثله الصفدي في الوافي بالوفيات.

وهذا كلام صريح وواضح لايحتاج الى لف ودوران وشرح ففيه الكفاية لمن طلب الحقيقة.

ثانياً: ويمّن كان يحث معاوية على حرب اهل البيت (عليهم السّلام) عمرو بن العاص بل كان يدعوه الى قتل كل من والى علياً عليه السلام.

يقول محمد بن ابي بكر في رسالته لمعاوية: «فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص في غوايتك»[1].

ويعترف ابن العاص في مرض موته بذلك حيث قال: ياليتني متُّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحتُ لمعاوية دنياه وأفسدتُ ديني آثرت دنياي وتركت آخرتي عُميَّ عليَّ رشدي حتى حضرني أجلي[2].

وانشد عمرو عندما عفى معاوية عن عبدالله بن هاشم المرقال:

أمرتُك أمراً حازماً فعصيتني

وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

---

١) انظر مروج الذهب: ج٣ ص١٢.

٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٢٢ ويُذكر ان عمرو قال أيضاً عندما إحتضر: (اللهم لابراءة لي فاعتذر ولا قوة لي فانتصر أمرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا) / انظر مروج الذهب: ج٣ ص٢٣.

وخلف بعد موته اموالاً عظيمة من ذلك سبعين رقبة بعير مملوءة ذهباً وكان معاوية قد اطلق له خراج الديار المصرية ست سنين شارطه على ذلك لما أعانه على وقعة صفين!

انظر دول الاسلام للذهبي: ص٣٠ ط بيروت.

أليس أبـــوه يـــا مـــعاوية الذي
أعـــان عـــلياً يـــوم حـــز الغـــلاصم
فـــلم يـــنثني حـــتى جـــرت مـــن دمـــائنا
بـــصفين أمـــثال البـــحور الخـــضارم[1]

وهكذا يعتقد ابن العاص بوجوب قتل كل من أعان علياً عليه السلام ويدعو معاوية لذلك!!

وكان هو المدبّر لمعاوية موضوع رفع المصاحف في صفين وكان ابن العاص على علم تام بان علياً عليه السلام على الحق ولكن بغضه له وحبه لولاية مصر جعله من ألد أعدائه[2].

ثالثاً: ومما شجع معاوية لحرب علي عليه السلام ومن بعده الحسن عليه السلام هو البغض الشديد الذي يكنه معاوية لاهل البيت (عليهم السّلام)، والثأر الذي كان يغلي في صدره لمعركة بدر والخندق وفتح مكة... ولذا تجده إينما جلس كان يشرع في سب علي وليس ذلك الا للحقد والبغض الدفين في دماغ معاوية، بل ترقىٰ الامر فإنه اخذ يسب علياً في صلاته وخطب الجمعة التي يبتدأها بشتم ولعن ابا تراب ويختمها بذلك واوصى

---

١) مروج الذهب: ج٣ ص١٠.

٢) قال عمرو لمعاوية: قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فاني اعلم أن علي بن ابي طالب على الحق وأنت على ضده فقال معاوية: مصر والله اعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيراً/انظر تمام الخير اذ فيه فوائد جميلة في مروج الذهب: ج٣ ص٢٠.

جميع عماله بهذا النهج الذي أملاه عليه الشيطان. فيروى أن زياداً جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي فمن أبىٰ ذلك عرضه على السيف!![1].

وقد مرَّ عليك في سر النزاع ما يوضح لك دوافع معاوية لحرب الحسن عليه السلام هذه أهم الاسباب والدوافع التي جعلت معاوية يواصل العداء والحرب للحسن من بعد علي عليه السلام يسعىٰ بذلك لاطفاء نور الله.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «والله لوَدَّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الاطعن في بطنه إطفاء لنور الله..»[2].

وهذا امر طبيعي عند كل مَن لم يدخل الايمان في قلبه ودخل الاسلام على رغم أنفه فان معاوية وعمرو وامثالهما دخلا الاسلام خوفاً.

فالنزاع الجديد بين معاوية وعضده عمرو بن العاص والحسن عليه السلام صورة أُخرى لما جرى بين ابي سفيان ورسول الله صلى الله عليه وآله كما قلنا فإنه كان يقود حرب الحجارة على النبي ومن ثم إيذاء النبي في الطرقات[3] وحصره في الشعب واخيراً محاولة قتله في مكة ثم قاد

---

١) المصدر نفسه: ص٢٦.

٢) مروج الذهب: ج٣ ص١٩.

٣) لايخفىٰ ان عمرو بن العاص هو أحد الثلاثة الهاجين لرسول الله صلى الله عليه وآله في الجاهلية /انظر تاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٥٩ وتاريخ ابي الفداء: ج١ ص١٨٤.

الحروب ضده فيما بعد، وهكذا كان العاص بن وائل والد عمرو بن العاص من المستهزئين برسول الله ﷺ الذي نزلت فيه ﴿ان شانئك هو الابتر﴾ و﴿انا كفيناك المستهزئين﴾[1] فالحسن عليه السلام يمثل النبوة والرسالة وأعداؤه مثلوا الجاهلية والوثنية المتلبسة بلباس الإسلام ظاهراً لخداع الناس واكتساب القطاعات الجماهيرية الواسعة باسم الإسلام وحقاً ما أفاده الشاعر ابراهيم بن المهاجر البجلي حيث قال:

أيها الناس اسمعوا أخبركم	عجباً زاد على كل العجب
عجباً من عبد شمس إنهم	فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا	دون عباس بن عبدالمطلب
كذبوا والله ما نعلمه	يحرز الميراث الا من قرب[2]

فإن معاوية كذب على الناس وفتح للناس باب الكذب وكل ذلك باسم الإسلام، وكان الحسن عليه السلام يراقب هذا المخطط الاموي وسعىٰ لمنع تنفيذه من خلال تصدّيه* لمعاوية.

---

١) مروج الذهب: ج٣ ص٢٣.

٢) المصدر نفسه: ص٣٣.

*) إنَّ الإمام الحسن عليه السلام لم يناهض معاوية بل حدث العكس... حيث ناهَضَ معاوية الإمام الحسن عليه السلام لأنَّه صاحبُ الإمتداد الطبيعي والحق الشرعي في الإمامة والخلافة بعد أستشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

تركيبة جيش الحسن عليه السلام

لابد ان يُعرف أنَّ الساحة الاسلامية في العراق آنذاك كانت منقسمة الى ما يلي:

١ـ أتباع ومحبي علي وأهل بيته بإخلاص ودوافع قرآنية وعقلانية.

٢ـ الكارهون لعلي ولعثمان وهم الخوارج.

٣ـ عوام الناس الذين أختزلوا في وعيهم مجموعة ثارات من صفين والجمل والنهروان، ومنهم من يحارب من اجل المطامع ومنهم من يحارب تحت تأثير الجو العام. ومنهم من يحارب عاطفياً مع الحسن عليه السلام.

وها هو ذا الامام الحسن عليه السلام يصف تركيبة وروحية جيشه قائلاً لهم:

«وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم أمام دنياكم واصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم وانتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره فأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر»[1].

فلقد تغيرت معالم الأمة وتبدلت النوايا وتسربت أفكار اليأس وحب الدنيا الى أدمغة أكثر الناس، وراودهم شبح التعب من الحروب ففكروا بالراحة قبل كل شيء والابتعاد عن ضوضاء السيوف والرماح وبهذه النفسية إشتركوا مع الإمام الحسن لحرب معاوية.

ولقد شكل الخوارج خطراً لايقل عن خطر معاوية، وحتى نعرف ذلك كان لزاماً ان نفصّل الكلام قليلاً ونعود الى الماضي ونقرأ يوميات رسول الله صلى الله عليه وآله وسط جماهير المدينة.

فلقد انقسمت الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الى:

١ـ المؤمنون إيماناً حقيقياً ويتبعون الرسول اتّباعاً يرضي الله، وهؤلاء يُعدون بالاصابع كما كشفت عنه حرب أُحُد وحرب الخندق وحنين وخيبر...

كما حكىٰ الله تعالى ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت﴾[1].

٢ـ المسلمون إسلاماً ظاهرياً ومع ذلك فإنهم كانوا يمنّون على الرسول اسلامهم ﴿يمونون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[2].

---

١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٠.

٢) الحجرات: ١٧.

٣ـ المسلمون الذين في قلوبهم مرض، وهؤلاء يتظاهرون بأنّهم من القسم الأول ولكن الحروب والفتن كانت تكشفهم.

قال تعالى مشيراً الى هذه الفئة ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة...﴾[1] وهكذا تحكي لنا الآية دور هؤلاء فانهم كانوا يحركون الفتن ضد الإسلام بشكل سري ويتعاون مع فئة المنافقين المرجفين.

٤ـ المنافقون الذين لم يدخل الإسلام في قناعاتهم ابداً ولكنهم يخوضون في الظاهر مع المسلمين وقد وصفهم القرآن بشكل مفصل في سورة كاملة.

٥ـ الطُّلقاء الذين دخلوا الإسلام خوفاً فلم تتشكل في عقولهم وقلوبهم قناعات بالإسلام وبالرسول بل ظلوا يحملون نفس الإنطباع الجاهلي عن رسول الله بأنه ساحر أو مجنون أو ملك يُحب ان يملك العرب...

هذه هي الفئآت التي عاشت داخل الوعاء الإسلامي زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد رحيل النبي تحركت هذه الفئآت لاستلام المنصب السياسي فقعدت الأولىٰ مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وآشتغل الإمام في تجهيز

---

١) الاحزاب: ٦٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله وإعلان الحداد والحزن عليه وهو أمر لازم لمثل مقام سيد البشر صلى الله عليه وآله وقامت الفئات الأخرىٰ بالتحرك فمنها من ٱتفق ومنها من ٱختلف، فتحرك الذين في قلوبهم مرض مع أبي بكر وصعدوا به نحو المنصب الأعلىٰ محاولين بذلك قطع الطريق عن الفئة الأولىٰ المتمثلة بعلي وفاطمة عليهما السلام وأتباعهما.

ثم ٱختلف الطُّلقاء مع فئة ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ والمرجفون كما اختلف على الوجهِ المبيّن في التّاريخ وٱعترض المؤمنون الحقيقيون على الذين في قلوبهم مرض.

وهكذا ٱضطربت الساحة الإسلامية وبرزت رؤوس الفتن وأطلع الشيطان رأسه فحاول أنْ يرسخ الباطل ويدفع المرجفين مجدداً كما كانوا في عهد النبي[1].

فوقف الامام علي عليه السلام ليذكر الجميع بأنّه أولىٰ الناس بهذا الامر

---

١) ذكر ابن الاثير حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لايخاف في الله لومة لائم وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم».
أُسد الغابة: ج ٤ ص ٣١ / وعلى فرض صحة الحديث فإنّه يكشف عن عدة أُمور منها:
الف ـ لاتوجد خصوصية الهداية إلاّ في علي عليه السلام لذلك جعلها النبي سبب الخلافة.
ب ـ إنَّ الامة الاسلامية مسبقاً كانت تتحين الفرص لازاحة علي عليه السلام عَن مسرح الحياة السياسة.
جـ ـ طريق علي عليه السلام هو الصراط المستقيم فإنه مطابق للقرآن وسيرة النبي ولكن مع ذلك رفضه الجاهلون وهم إنما يرفضون القرآن والنّبوّة.

مستدلاً بحديث الغدير وحديث المنزلة لانهما من اواخر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في منزلة علي عليه السلام وكيف يصح أن يموت النبي دون أن يوصي لأحد من بعده وهل يعقل ذلك العقلاء؟

وكيف تُجيزون لأنفسكم القول بأنّه مات دون عهد ووصية مع أنَّ الله يدعو الى ذلك في قرآنه فكيف يخالف النبي ربه مع أنّ معجزته القرآن؟ فمالكم كيف تحكمون؟.

وهكذا توالت كلمات علي عليه السلام على الذين تركوا جثمان النبي وأستبقوا الى سقيفة بني ساعدة، ولوثّوا الأجواء وعكّروا صورة الإسلام فبرزوا الى الواقع بدكتاتورية رهيبة ولكنها لبست ثوب الإسلام ومنطقها الخوف والحرص على مستقبل الإسلام وهكذا انطلت اللعبة على المغفلين والتافهين، فَصَمَتَ الإمام علي عليه السلام عن هذا الإجراء بعد أن تكلّم بما فيه الكفاية هو وزوجته الزهراء عليها السلام، ورأىٰ في السكوت عن حقه مصلحة عليا للإسلام أوّلاً وثانياً للمسلمين... لكلّ المسلمين.

ومضت السنون وجاء الإمام الحسن عليه السلام الى قمّة السلطة بالشكل الشرعي حيث باشر حقّه الشرعي المنصوص عليه في الكتاب والسّنّة تماماً كأبيه عليه السلام، ولكنه استلم الساحة الإسلامية وكانت مملوءة بالالغام فقد تكاملت فرقة ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم الذين شنوا حرب الجمل ضد ابيه الأمام علي عليه السلام وكذا حاول بقايا الأحزاب والطّلقاء أن

يجمعوا شتاتهم ويعيدوا وجودهم ووحدتهم ويشنوا الحروب ضد علي والحسن والحسين عليهما السلام وهكذا الفئة الثالثة وهم المسلمون ظاهراً والذين يمنون على الله ورسوله إسلامهم فإنَّهم تحولوا الى جناح عسكري واتجاه عقيدي مضل وهم (الخوارج)[1].

هكذا وبهذه الصورة تقلّد الامام الحسن عليه السلام مقام الإمامة في هذا الواقع الاسلامي على تناقضاته وجدليته وهو يعلم أن جناح الطّلقاء وبقايا الأحزاب في الشام سوف يحركون الأجواء ضده، وأن جناح الذين يمنون إسلامهم (الخوارج) هم الآخرون يمثلون العدو التقليدي لأهل البيت ولكن من داخل صميم مواقع حكم الإمام الحسن عليه السلام حتى يخيلَ لبعض الناس أنهم أتباع أهل البيت وتصوروا أنّ الذي غدر بالحسن عليه السلام هم أتباعه.. ولكن في الواقع إنهم الخوارج ويضاف إليهم فئة المنافقين وهم ورثة خط النفاق منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله.

---

١) كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله وقال: «انهم انطلقوا الى آيات نزلت فيالكفار فجعلوها على المؤمنين. وعن علي عليه السلام قال عن النبي حول الخوارج: لايجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. انظر صحيح البخاري: ج ٢٤ ص ٥٠ و٥١ باب قتل الخوارج.

زبدة الكلام

فالإمام الحسن عليه السلام كان يواجه عَدوَّين:

١ـ العدو الداخلي: الملتف حوله بعنوان أنهم أتباعه ومحبيه إلاّ إنهم مجموعات من الخوارج والمنافقين والذين في قلوبهم مرض وعوام لايدركون عظمة الإمام ولايتحملون المسؤولية ويفهمون الدين طقوساً فارغةً من مضمون اليقين وصدق العبادة.

٢ـ العدو الخارجي: وهم بقايا الأحزاب والطّلقاء أقاموا مع أمير البغاة في الشام وهؤلاء كان همهم محاربة اهل البيت (عليهم السّلام) ثأراً لبدر وأحد وو... وكلهم تحت عنوان (النّواصب).

ثم إن الإنهزام النفسي والروحي كان يعشعش في غالبية أفراد جيش الحسن عليه السلام لأنَّ أكثرهم لم يكونوا أتباعه وشيعته الحقيقيين بل خوارج أو منافقين أو محترفي النفاق.

والمقاتلون المخلصون نخبة قليلة وقليلة جداً، وهؤلاء بقوا حول الإمام الحسن عليه السلام يحفظونه من غدر الأعداء في الداخل والخارج مع أن الإمام الحسن عليه السلام سلفاً كان يعرف ويدرك أنّ الحرب خاسرة

عسكرياً.

ولكن مع ذلك فإن الحسن عليه السلام كان قد قرر الحرب ضدَّ معاوية من أول يوم بعدما عرف أنّ معاوية هو السبّاق اليها عندما عمل على زعزعة وتبديد أفراد جيش الحسن عليه السلام من خلال الحرب الباردة وتفجير الجبهة الداخلية عليه فكان الحسن عليه السلام يشترط على من يبايعه «إنكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت» فارتابوا بذلك وقالوا: ما هذا لكم بصاحب ما يرىٰ هذا الا القتال[1].

وهذا النص يكشف لنا أموراً هي:

١ـ إنَّ الحسن عليه السلام كان يعيش عزيمة أبيه علي عليه السلام في مقارعة الظالمين يظهر ذلك من خلال رسائله الى معاوية ومن تجهيزه الجيوش لحرب معاوية وطريقة أخذه البيعة فمثلاً يذكر ابن الاثير كلاماً للحسن يدلل على ما قلنا: قال الحسن عليه السلام «إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شكٌ ولا ندم وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر...»[2].

٢ـ إنَّ أكثر أفراد جيش الحسن ما كانوا ليرغبوا في الحرب لعدم إيمانهم بإمامة الحسن عليه السلام، أو لإحساسهم بالتعب من الحروب الاولىٰ ولتأثرهم بأفكار الخوارج.

٣ـ إنَّ الذين عاشوا عزيمة الحسن عليه السلام وتفاعلوا معه وبقوا

---

١) انظر الكامل: ج٣ ص٢٦٧ والطبري: ج٦ وتاريخ ابن خلدون: ج٢ ص١٨٦ ط بيروت وتاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٥٧ ط بيروت.

٢) اسد الغابة: ج٢ ص١٣.

مخلصين له في المواقع كلها هم قلة وهم شيعته الحقيقيون وشيعة أبيه ومنهم إنحدر الخط الشيعي الرافض للظلم.

وكلّ من فكّر أن يُسلّم الإمام الحسن عليه السلام الى معاوية وسعى لاغتياله وطعنه وسرقة متاعه فإنّه كان من غير شيعته وأتباعه المخلصين، وليس بصحيح أن نتصور أنّ اتباعه رغبوا في عدم الحرب أو في اَغتيال الحسن، وإنما هذه أفكار من بقايا خطط بني أُمية وترهاتهم حاولوا من خلالها تلويث الدائرة الشيعية أوّلاً وتبرأة معاوية من أفاعيله في تأليب الكوفة على الإمام الحسن عليه السلام، ودفاعهم المعروف عن رموز الباطل وضرب رمز الحق.

ويؤيد ما ذكرناه الكثير من الشواهد التاريخية التي سنكتفي بالإشارة الى بعضها فيذكر الدنيوري أنّ الحسن عليه السلام لما انتهىٰ الى ساباط رأىٰ من أصحابه فشلاً وتواكلاً عن الحرب فقال لهم: «أيّها الناس اني قد اصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة واني ناظر لكم كنظري لنفسي وارىٰ رأياً فلا تردوا عليَّ رأيي إنّ الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة..» فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم الى بعض فقال مَن كان معه ممن يرى رأي الخوارج كفر الحسن كما كفر أبوه من قبل، فشدَّ عليه نفر منهم فانتزعوا مصلاه من تحته وانتهبوا ثيابه...[١].

---

١) الاخبار الطوال للدنيوري: ص٢١٦ ط القاهرة.

والذي يهمنا في هذا النص قوله «من كان معه ممن يرى رأي الخوارج) فالخوارج استقطبوا بأفكارهم المضلة الكثير من المغفلين وهؤلاء هم الذين خذلوا الحسن عليه السلام لا شيعته كما أُشيع كذباً وافتراءاً.

ويذكر الدنيوري أيضاً: فكمن للحسن عليه السلام رجل ممن يرى رأي الخوارج فطعنه في فخذه[1] فيتضح أنّ معاوية استطاع أن يحرك الخوارج ضد الإمام الحسن عليه السلام.

فالذي خذله وشدَّ عليه وسرقَ متاعه وقال إنَّه مذل المؤمنين إنَّما كانوا من هذه الطبقة أعني الخوارج أو ممن يرىٰ رأيهم ويحتذي بهم.

وقد وقف الشيعة في تلك الفترة الحرجة موقفاً مُشرّفاً كعادتهم في مواقف الحق.

يقول ابن خلدون: وقامت ربيعة وهمدان دونه ـ الحسن عليه السلام ـ واحتملوه على سرير الى المدائن[2].

ولكن الذين في قلوبهم مرض قديماً وحديثاً يعملون على تشويه صورة الشيعة وإلقاء كل التبعات عليهم وكأنَّ الله تعالى سبحانه لم يخلق غيرهم.

وهل يعقل عاقل فيما لو تأمل في تضحيات الشيعة أنّهم هم الذين خذلوا أئمتهم (عليهم السّلام)؟

---

١) المصدر: ص٢١٧.

٢) تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص١٨٦ ط بيروت، ومقاتل الطالبيين: ص٤١.

تركيبة جيش معاوية

علينا أن نعرف أوّلاً أن بين أهل الشام ومعاوية أُلفة تاريخية عميقة تمتد من جده الأعلى أُمية بن عبد شمس الذي طُرد من مكة الى الشام فبقي هناك عشرين عاماً ثم جاء عمر بن الخطاب وعين يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام فيكون الأمرُ أنَّ معاوية لديه دراية مسبقة باحوال الشام وأهله وقد عمل على تكريس وتفعيل حكومة بني أُميّة في الشام، فهناك علاقة متبادلة بين الناس ومعاوية فيما يخص الشام.

وهذا بخلاف الكوفة فإن الناس لم يعرفوا الحسن عليه السلام إلا من بضع سنوات وقد عشعش في الكوفة الخوارج مضافاً الى الأعداء والحساد ومبغضي لاهل البيت (عليهم السهلام) الذين نخلتهم الحروب الثلاثة وهم طعوم جديدة في ساحة الإمام الحسن عليه السلام ولكن لصالح معاوية.

وعلى ضوء ذلك يمكن أن نعطي صورة واضحة المعالم عن تركيبة

جيش معاوية كما يلي:

١ـ إنَّ الشامَ الذي لم تُحس يوماً بالإضطهاد، بل العكس فقد عاش أهل الشام بموائد عثمان وعمر لأنّهما ما كانا ليحاسبا معاوية عن أعماله وبذخه وإنفاقه، فكان الولاء لعثمان أكثر لأنّه أرخىٰ العنان المالي لمعاوية والأخير كان لا يقصر في الإغداق على أهل الشام، وهو بذلك يسعىٰ لتأسيس قاعدة عسكرية وقوة ضارية تأتمر بأمره متى شاء فإنّه باسم مظلومية عثمان كان قد اكتسب قطّاعاً واسعاً وجماهير عثمانيين أخذوا يتحركون معه تحت هذا الشعار.

٢ـ وكانت طبيعة أهل الشام غير أهل الكوفة، فانَّ معاوية عمل على أن يكون أهل الشام مطيعين بدون أن يعرفوا شيئاً ولا أن يسألوا عن شيء فما كان من عادتهم الإعتراض على الوالي مثلاً.

وهذا بخلاف أهل الكوفة الذين رباهم أمير المؤمنين عليه السلام على الحرية في الرأي وفتح أذهانهم على فهم الحياة، بل حتى في اللحظات الحرجة كان أمير المؤمنين علي والامام الحسن عليهما السلام لايصادران حرية رأي الجماهير فان علياً عليه السلام تنازل لما فرضت عليه الجماهير قبول قضية التحكيم، وكذا الحسن عليه السلام قَبِلَ المعاهدة لما رأى أن أعدائه أكثر من شيعته وهذا القبول هو جزء من عمل الامام الشرعي.

قال الإمام الحسن عليه السلام لجيشه: «ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة واأن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه

الى الله عزّوجلّ بظبا السيف وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا»؟

فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية وأمض الصلح[١].

وهذا لايُعد ضعفاً من الإمام الحسن عليه السلام بل إنّه تألق الامامة وعبقرية المعصوم في إحترام آراء الناس وميولهم وإن كانت فيها بأس، إذ المهم أنَّ الإمام لا يفكر يوماً أن يصادر إرادة وحرية الآخرين وإن كانوا أعداءَه ضمن الجبهة الداخلية.

ومن الوثائق التاريخية التي تؤكد ما ذكرنا في ذوبان إرادات أهل الشام وإنهم مجرد أدوات يضعها معاوية أينما شاء، نص ذكرهُ ابن قتيبة (... وإني لأخبرك يا معاوية إنك تقوى على علي بدون ما يقوى به عليك، لأنّ مَن معك لايقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت، ولأنّ مَن مع علي يقولون إذا قال ويسألون إذا أمر[٢]).

وقيمة هذا النص ثمينة فإنها تعكس الجهة الدكتاتورية في الشام والحياة الديمقراطية في الكوفة، فإنَّ أهل الشام أيام معاوية لايملكون إراداتهم بل لايملكون شيئاً سوىٰ الطاعة العمياء لمعاوية، بينما حرية القول والرأي والمناقشة نجدها قائمة في ساحة الإمام علي ومن بعده الحسن عليهما السلام.

---

١) الكامل: ج ٣ ص ٧٣ ط بيروت.

٢) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة: ج ١ ص ٨٢ ط بيروت.

ولكن المؤسف له أن أكثر أهل الكوفة لم يستغلوا الحرية التي أشاعها علي عليه السلام إستغلالاً جيداً ولم يستثمروها بالشكل الذي تتوحد كلمتهم وصفوفهم.

على العكس من جيش الشام الذين عطلوا عقولهم وشرعوا بالحركة والتفاعل مع معاوية بعواطفهم الساذجة من جهة، وبالمال الذي كان يبذله معاوية لهم من جهة اخرى.

«إنَّ معاوية كان قد حبس أهل الشام عن التعرف على أحد من كبار الصحابة خارج الشام حتى لايتعرفوا على فضائل أهل البيت وقرابتهم القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

روي المسعودي أنّ عبدالله بن علي العباسي نزل الشام بعد مقتل مروان آخر حكام بني أمية عام ١٣٢ هـ ووجه الى السفاح بعض أرباب النعم والرئاسة من سائر إجناد الشام فحلفوا لأبي العباس أنّهم ما علموا لرسول الله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة»[١].

وتصف عكرشة بنت الأطرش[٢] جماعة معاوية فتقول: (إن معاوية دَلَفَ إليكم بعجم العرب لايفقهون الإيمان ولايدرون ما الحكمة

---

١) سلسلة في رحاب النبي وال بيته: ج٧ ص٧٥ / د. محمد بيومي.

٢) عكرشة امرأة اشتركت في حرب صفين الى جانب علي عليه السلام.

دعاهم الى الباطل فأجابوه واستدعاهم الى الدنيا فلبُّوه)[١] وهكذا فإنَّ جيشه في صفين وفي حرب الإمام الحسن عليه السلام عبارة عن سفلة من أعاجم الراكضين خلف الدنيا وزخرفها فارغين من المبادىء والإيمان.

ويصف أمير المؤمنين علي عليه السلام أهل الشام في أحد كتبه الى معاوية قائلاً عليه السلام:

«وليس أهل الشام على الدنيا بأحرصَ من أهل العراق على الآخرة...[٢]».

ومن الطبيعي أن ينجح معاوية بِمثلِ هؤلاء التافهين الحريصين على الدنيا.

ويصفهم صعصعة بن صوحان أمام معاوية: إنهم أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار وخلفة الأشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار[٣].

وبطبيعة الحال سوف يبرز أمثال معاوية وعمرو بن العاص في بلاد الشام على أنهما عباقرة وأذكياء وو.. لأنّ الوسط الشامي متخلف مهزوز ومهزوم من الداخل فيكون عمرو بن العاص في نظرهم شامخاً وداهيةً وما هو كذلك في الواقع ومما يؤيد ذلك محاورة جرت بين

---

١) قصص العرب: ج٢ ص١١٧.

٢) مروج الذهب: ج٣ ص١٤.

٣) المصدر: ص٤٢.

عبدالله بن هاشم المرقال وعمرو بن العاص يقول عبدالله لعمرو: خلوتَ بأقوام لايعرفونك وجند لايسامونك ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ إليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك آضطراب القعود الذي اثقله حمله...)[1].

وللمؤرخ المسعودي كلامٌ ننقله في وصف غباء أهل الشام يقول: «إنَّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي أُخذت مني بصفين فارتفع أمرهما الى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلاً مَعَهُ يشهدون أنها ناقته فقضىٰ معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة!!

فقال معاوية: هذا حكم قد مضىٰ ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبرّهُ وأحسن إليه وقال له: أبلغ علياً أني أُقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل!!»[2].

ثم يضيف المسعودي قائلاً: «وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنّه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص: إن

---

١) انظر مروج الذهب: ج٣ ص١٠.

٢) مروج الذهب: ج٣ ص٢١.

علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سُنّةً ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير»[١].

وذكر بعض أهل الاخبار: أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: مَن أبو تراب هذا يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوصٍ الفتن!![٢].

وها هو ذا معاوية يصف أتباعه عندما كتب للإمام للحسن عليه السلام كتاباً ذكرَ فيه: فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع من الناس[٣].

فإنّه يعطي الوصف الحقيقي لأهل الشام، لأنّه خالطهم بما فيه الكفاية وقد تكون لفظة (رعاع) كثيرة في حقهم.

«وكان إيمان معاوية بالسفالة البشرية إيماناً لاحد له وهو إيمان يقوم على الاعتقاد بأن أقوم الناس خلقاً وأشدهم عزماً وأنقاهم فضيلة قد لاتستهويه الأطماع..»[٤] ولذلك فإنه يركن لأن تكون حاشيته من السفلة والمنحطين والمتخلفين وهذا دأب الملوك المرتدين الأمويين قديماً وحديثاً.

---

١) المصدر نفسه.

٢) مروج الذهب: ج٣ ص٣١ و٣٢.

٣) مقاتل الطالبيين: ص٣٨.

٤) مجلة العربي ـ العدد الثاني ـ السنة ١١.

مؤمرات ضد الامام الحسن عليه السلام

لقد استقر جيش الإمام الحسن عليه السلام في منطقتين (مسكن) و(المدائن) على اختلاف نواياهم وتطلعاتهم وعقائدهم ولكن مع ذلك أدرك معاوية جيداً أنّ الحرب عسكرياً ضدَّ الحسن عليه السلام لاتختلف عن الحرب مع أبيه علي عليه السلام اذ لافرق بين الحسن عليه السلام وأبيه ولأنّ معاوية برَّر حربه مع الإمام علي عليه السلام وعداءهُ له بدم عثمان فاعتبر حرب صفين أنّها للطلب بدم عثمان، أمّا ضدَّ الحسن فلايمكن أن يقول ذلك لأنَّ الحسن عليه السلام من ابرز المدافعين عن عثمان أيام الحصار وكان يأتيه بالماء فما عسى معاوية أن يقول في حربه ضدَّ الإمام الحسن عليه السلام ولذلك فإنّه أدرك أن الحرب قد لاتنفع لأنّها فاقدة للتبرير فركن الى المعاهدة والصلح من اللحظة الأولىٰ ولكن عليه أن يعرض الصلح بشكل غير مباشر فعمل على ترتيب الظروف لينتزع الصلح من الإمام الحسن عليه السلام انتزاعاً لذلك قرر من اللحظة الاولى أن لايخوض أيّ حربٍ ضدَّ

الإمام الحسن عليه السلام بل يكتفي باستخدام طابوره الخامس في تحريك الجبهة الداخلية ضد الإمام الحسن عليه السلام وأبرزهم الخوارج.

فأرسل جماعات يتسلّلون الى صفوف جيش الإمام الحسن عليه السلام يبثّون الإشاعات والأكاذيب الكفيلة بتدميرهم نفسياً وانهزامهم من الداخل، فعمل على تفريغ الوعاء الروحي للجيش وتثبيط معنوياتهم وإيجاد عدم ثقةٍ واهتزازات بالقيادة لعلمه المسبق بالفئات الموجودة في الكوفة فكان الطابور الخامس على ثلاثة أقسام:

١ـ جماعة خاصة تبث الاشاعات الكاذبة في جيش الإمام الحسن عليه السلام، يذكر ابن الأثير: (كان معاوية يبعث الى عسكر قيس في مسكن من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية)[1].

ويذكر الطبري: (لما نزل الحسن عليه السلام المدائن نادىٰ منادٍ في العسكر ألا ان قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا بسرادق الحسن...)[2].

ويذكر اليعقوبي: (كان معاوية يدس الى عسكر الحسن من يتحدث أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ويوجه الى عسكر قيس من يتحدث أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه)[3].

وهكذا نُفِذَت هذه الخطة بكل دقة وفي جميع مفاصل جيش

---

١) الكامل: ج ٣ ص ١٦١.

٢) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٩٢.

٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢١٤.

الإمام الحسن عليه السلام الذي تَسلّلت اليه أفكار الخوارج، وأفكار أخرى تتصل بالراحة وعدم خوض الحرب، وكان معاوية قد علم بتأثير مثل هذه الافكار في أفراد جيش الإمام الحسن عليه السلام ولذلك نشّطها وجذرها عبر الطابور الخامس وهو بذلك يدغدغ مشاعر الجيش ويحرك عواطفهم الى الموادعة وقد نجح فعلاً، لأنّه قد رأى سابقاً غباء وحماقة الخوارج الذين كانوا السبب في قضية التحكيم وبالتالي كانوا سبباً أيضاً في نجاة معاوية من سيف الإمام علي عليه السلام وهو ـ معاوية ـ على علم أنَّ هؤلاء لا زالوا ضمن جيش الإمام الحسن عليه السلام.

٢ـ وجماعة خاصة تمني قادة جيش الامام الحسن عليه السلام بالأموال الطائلة وتجلب إليهم رسائل معاوية التي يذكر لهم فيها أرقام خيالية لم يكونوا يحلمون بها مع الإمام الحسن عليه السلام، فحركت الدنيا في وعيهم وأسدلوا الستار على إيمانهم الى إشعار آخر، وعطلوا القيم وخانوا إمامهم الحسن عليه السلام وباعوا ضمائرهم ودينهم وإنسانيتهم ببضع آلاف من الدراهم والدنانير فاستسلم عبيدالله ومعه ثمانية الاف جندي الى معاوية[1] وكان من قبله الحكم أحد قاده جيش الإمام الحسن عليه السلام قد استسلم هو الآخر ثم الثالث كان من قبيلة مراد هو الآخر اجتذبته البروق والمطامع فاستطاع معاوية أن يستذل شموخهم عن هذا الطريق،

---

١) المصدر نفسه: ص١٩١.

فما عسى العسكر أن يفعل وهو يرى قادته بهذا المستوى الضحل وماذا يخبىء لهم الغد؟

فَهَل سيفعل الإمام الحسن عليه السلام مثلما فعل قادته؟

وكيف سيخوض الإمام الحسن عليه السلام الحرب بدون قادة؟ وعدة قليلة جداً؟

والى متى يبق هذا التسرب الى جهة العدو؟ وو... وغيرها من أفكار وأقاويل كانت تجول في أذهان جيش الإمام الحسن عليه السلام حتى فَكَّرَ الخوارج في القبض على الإمام الحسن عليه السلام وتسليمه الى معاوية[١].

فما مرَّ به الإمام الحسن عليه السلام لم يمرَّ به رسول الله ولا امير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، من تركيبة اجتماعية متفسخة ومقاتلين فارغين تماماً من المحتوى الروحي، يقول أحد الكتّاب: «وما مني الاسلام منذ ضرب بجرانه على جزيرة العرب من هذه النكبة التي يترنح بها موقف الخلافة الإسلامية بين تثاقل الجنود وتخاذل الزعماء وخيانة القائد وفتن العدو»[٢].

٣ـ وجماعة خاصة أرسلهم معاوية الى الإمام الحسن عليه السلام نفسه حيث يذكر اليعقوبي ما يلي: (ووجه معاوية الى الحسن المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عامر بن كريز وعبدالرحمن بن ام مكتوم وأتوه وهو

---

١) الطبري: ج٦ ص٩٢ والكامل: ج٣ ص٢٧١.

٢) اهل البيت: ص٣٢٧ / توفيق ابو علم.

بالمدائن ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويُسمعون الناس: إنَّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكّن به الفتنة وأجاب الى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشك الناس في صدقهم...)[١].

وهنا وفي مثل هذا الموقف ماذا يفعل الإمام الحسن عليه السلام هل يعدو راكضاً خلف المغيرة ورفاقه ويكذبهم؟ وهل سيصدقه جيشه لو فعل ذلك؟

أم يكتفي بالإنكار بأنَّه لم يتوصل الى أي صلح مع معاوية؟

إنَّها الحيرة التي أطبقت على جيش الإمام الحسن عليه السلام حتى ترسخ في وعيهم أن الإمام الحسن عليه السلام قد ورّطهم في الخروج فالأولى الإنسحاب من ميدان القتال فالضحالة الفكرية عند قطاع واسع من الناس حالت دون تصديق كلام الإمام الحسن عليه السلام.

والخوارج لاتكتفي فقط بالانسحاب بل ترى قتل الإمام الحسن عليه السلام واجباً لأنهم أرادوا الإمام الحسن عليه السلام من أجل قتل معاوية وإذا بهم يسمعون أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد صالح معاوية، وفعلاً فقد عمدوا الى سرقة متاعه ومصلاه ومحاولة طعنه في فخذه في منطقة ساباط[٢].

---

١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢١٥.

٢) الفصول المهمة: ص ١٦٢ لابن الصباغ المالكي.

نتيجة البحث

ومن مجموع هذا نخرج بنتيجة مهمة هي:

١ـ إنَّ معاوية من خلال الطابور الخامس نجح في زعزعة وتحطيم جيش الإمام الحسن عليه السلام.

٢ـ فَأوجدَ انقساماً في جيش الإمام الحسن عليه السلام يكفي هذا الانقسام للقضاء على الإمام الحسن عليه السلام وبعبارة أخرى فإنَّ معاوية رَسَّخ وكرَّس الإنقسام الموجود مسبقاً عبر الاشاعات وشراء الضمائر بالمال.

٣ـ أراد معاوية أن ينتزع الصلح أو المعاهدة من الإمام الحسن عليه السلام انتزاعاً بتحريض القاعدة الجماهيرية ضِدّهُ عليه السلام، كما فعل في موضوع التحكيم مع الإمام علي عليه السلام فأشاع بين الناس أنّ الصلح قد تم بينه وبين الحسن، ولم يكن ذلك صحيحاً.

٤ـ لم يكن معاوية يريد الحرب عسكرياً ضدَّ الإمام الحسن عليه السلام

بل اكتفى بالحرب الباردة لعدة اعتبارات منها تلميع صورته في أذهان جيش الحسن من خلال طرحه للصلح والهدنة والمعاهدة[١].

ومنها عدم قدرته على مواجهة الإمام الحسن عليه السلام كما فشل عسكرياً من قبل في صفين، ومنها تأليب الواقع الشعبي ضد الإمام الحسن عليه السلام و...

٥ـ إن الذين غدروا بالإمام الحسن عليه السلام وتركوه وخذلوه وحاولوا قتله أو تسليمه ليسوا من شيعته وشيعة أبيه بل هم من الخوارج أو الذين في قلوبهم مرض الذين لم يدخل الإسلام في قلوبهم وهم محترفو النفاق. وجدلاً وحقداً فإنَّ ما أُثير ويُثار هنا وهناك أنّ الشيعة هم غدروا بالإمام الحسن عليه السلام. إنّما هو من باب الدّس والحسد فَعلى العكس فإنَّ الشيعة هم الذين حفظوا الإمام الحسن عليه السلام من أيدي الغدر والخيانة طيلة فترة إمامته وخلافته عليه السلام.

---

١) لابد أن يُعرف ان معاوية هو الذي طرح فكرة المعاهدة أو الصلح على الإمام الحسن عليه السلام لا العكس، انظر الكامل: ج٣ ص٢٧٢ ومنتهى الامال للقمي: ج١ ص٤٣٢ ومختصر تاريخ العرب: ص٧٨.

التضحية الكبرى

وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة والخيانات المتتالية لم يضعف الإمام الحسن عليه السلام كيف وهو الذي فيه قوة روح القدس وشمائل النبوة والعصمة المانعة، ولكن لقد قرر الجيش بأجمعه إلا نخبة تعد على الأصابع أن يعلن الإمام الحسن عليه السلام إيقاف الزحف نحو معاوية وقبوله كل مقترحات معاوية مع سابق علمهم أنّ معاوية إمام ضلالة!! وأدرك الإمام الحسن عليه السلام ذلك وأيقن أن الحرب لم تعد هي الحل على ضوء تأثير هذه المتغيّرات التي منها تسرّب معظم جيشه وتخاذل الآخرين وو...

وبذلك كان على الإمام الحسن عليه السلام أن يختار حلاً آخراً غير الحرب ولكن يبق يحافظ من خلاله على عزّة الإسلام وشموخ الإمامة المجتمعة في شخص هذا الإمام المضطهد المظلوم عليه السلام ومن ورائه... شيعتُه الحقيقيون الذين حموه ودافعوا عنه عليه السلام وأخلصوا

لإمامته ولذلك راى في قبول المعاهدة حلاً مؤقتاً يضمن ويحقق بعض الأهداف، ولكنه حاول أن تكون نتائجها لصالحه فاشترط على معاوية أموراً سنشير إليها لاحقاً.

وقبول هذه المعاهدة لايُعد ضعفاً كما يفهمه القشريون ولاخوفاً وإنما احتراماً ورعايةً للمصلحة الكبرى وهي مصلحة الاسلام لاسيما إذا نظرنا بتفحص الى الخطر الخارجي المتمثل بالدولة البزنطية التي تعاقد معاوية معها وتعاون ملكها مع معاوية للقضاء على الإمام الحسن عليه السلام فيما بعد[1] وهو تعاقد للقضاء على الإسلام لأنّ الإمام الحسن عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أولى من معاوية في تجلي الإسلام بكل معانيه في شخصه الشريف فتذكر التواريخ أن أول من صالح الروم هو معاوية[2].

وقلما نجد من يترك السلطان والكرسي من أجل القيم العليا التي تفرض نفسها على القائد، فحتى عثمان ناضل أشد النضال ولم يترك

---

١) لقد كتب معاوية الى ملك الروم يطلب منه سماً فتاكاً سريع التأثير وكتب له: إنّ الرجل الذي أُريد قتله هو ابن الرجل الذي خرج في ارض تهامة وقد خرج الان يطلب ملك أبيه فأرسَلَ اليه ما اراد /انظر سيرة الائمة الاثنى عشر: ج١ ص٥٦٣ هاشم معروف الحسني. وقد ذكر في منتهى الامال ان السم الذي دسه معاوية للحسن ابتاعه من ملك الروم وسقاه الحسن /منتهى الامال: ج١ ص٤٤٠.

٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٧ ولقد ذكرنا تفاصيل ذلك في كتابنا (الحسين صوت كثر واتره وقل ناصره).

عرشه حتى قُتل فيه ومعاوية حارب حتى أخرج المسلمين عن الإسلام ذلك لأن معاوية لم يكن مؤمناً ولا مسلماً أصلاً بل إنّه من الطُّلقاء ومن المؤلفة قلوبهم وعمرو بن العاص الذي أحرق عامله جسد محمد بن ابي بكر في جلد حمار كل ذلك من أجل السلطان الذي أخذ منهم مأخذاً حتى عدهم التاريخ الانساني من أهل الدنيا وهكذا فإنَّ بعضهم أحرق الكعبة وبعضهم رجمها وآخرون أدخلوا المسلمين في فتن... ومناوشاتٍ دموية ومآسٍ يذهل منها العقل.

إلا أبا محمد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فإنَّه ضحىٰ بما تحت يده من الخلافة مع إنّها حقه الشرعي من أجل المسلمين وحرصاً على مستقبلهم ولم تكن هذه التضحية عن ضعف وفتور وكسل بل عن عقل وتدبير وحرص على الواقع الاسلامي بخلاف معاوية الذي لم يراعِ أيَّ قيمة إسلامية أو إنسانية فإن القيم عنده تحت قدميه كما صرح مراراً بذلك.

دوافع المعاهدة

علينا أن نعرف أنَّ الذي فرض على الإمام الحسن عليه السلام قبول المعاهدة مع معاوية امورٌ عديدة منها:

اولاً ـ أغلب جماهيره وأتباعه كانوا من غير المخلصين الذين أترفتهم الحياة وأخلدوا الى الراحة ذلك لأن طبيعة التخلف والإرتداد في بعض الناس وطبيعة تقاعس وسعي آخرين في حب الدنيا وانفضاضهم عن الإمام الحسن عليه السلام قد فرضت عليه قبول الحلول التي اقترحها معاوية والتي لاتمسُّ روح العقيدة الإسلامية وتحقق من ثم الهدف العام في الابقاء على مصلحة وحدة المسلمين ومما يدلُّ على ذلك:

الف ـ نص قد ذكرناه سابقاً: «ألا وان معاوية قد دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عزوجل بظبا السيف وان أردتم الحياة قبلناه...فناداه الناس من كل

جانب: البقية البقية وامض الصلح[1]».

فمنطق المتقاعسين اليائسين وأسلوب المنهزمين هؤلاء الذين ٱلتصقوا بالتراب.

ب ـ وقول قيس بن سعد للناس: أيّها الناس ٱختاروا ٱلدخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال مع غير إمام؟

فقال بعضهم: بل نختار ٱلدخول في طاعة إمام ضلالة فبايعوا معاوية[2].

جـ ـ سرعة تأثرهم بالإشاعات التي أثارها معاوية مما يدلُّ على عدم ثقتهم وقناعتهم وتفاعلهم مع خطط الإمام الحسن عليه السلام وانسياقهم وراءَ الاكاذيب وعدم توطين نفوسهم على العمل تحت راية الإمام المعصوم عليه السلام.

وقد تراودنا فكرة وهي: كيف ينصاع الإمام لآراء الناس مع أخطائهم؟

ألم يكن لدى الإمام الحسن عليه السلام خطة لاحتواء بقية الجيش؟

فأقول قد حَصَل مثل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته عندما أراد أن يكتب للأمة كتاباً لن تضل بعده فحال بعض الرجال دون كتابة ذلك الكتاب وقالوا عنه ما قالوا حتى قال لهم:

---

١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٢٧٣ وأُسد الغابة: ج ٢ ص ١٣ و ١٤.

٢) المصدر نفسه وتاريخ الطبري: ج ٦ ص ٩٢.

قوموا عني ولم يُكتب الكتاب[١] اذ اراد النبي ﷺ من خلال الكتاب أن يملي وصيتَهُ بإمامة علي عليه السلام بوثيقةٍ تشريعيّة تاريخيّة ويحتوي بها الناس، ولكنهم عاكسوا خطة النبي ﷺ واتهموه بالذي هو بريء منه.

ثم إنَّ الرسول والإمام مبعوثان للأمة على سبيل ٱلإختيار لا ٱلإجبار وهكذا فإنا نجد الاأمة الإسلامية ولعدة مرات ٱختارت اموراً سلبية منها أمر السقيفة ومنها حرب الجمل وصفين عندما حُوربَ عليٌّ مع أنّه الامام الواجب الطاعة الذي اجتمعت الأمّة كلها على بيعته ومنها ما نحن فيه.

فالناس هم الذين دفعوا الإمام الحسن عليه السلام إلى أن يتخلىٰ عن الموقع والخلافة مؤقتاً لمعاوية. كما فرضت قريش والظروف الاستثنائية على رسول الله ﷺ قبول معاهدة الحديبية فالإمام الحسن عليه السلام من أكبر المضحين في تاريخ الإنسانية. وهذا لايعني أنّه لم يكن لدى الإمام الحسن عليه السلام خطة لاحتواء الموقف بل لاشك إنّه كان يمتلك الأدوات الفكرية والعملية لإنقاذ الناس والخروج من المأزق دون أن يقبل الهدنة ولكن بنفس الوقت لم يكن لدى غالبية جيشه ذلك الاستعداد التام للاقتناع والثّقة والعمل بخطّة الإمام الحسن عليه السلام كما حصل في زمن النبي

---

١) البخاري: ج ٥ ص ١٣٧ ط دار الفكر بيروت.

في مرض وفاته صلى الله عليه وآله وفي زمن السقيفة ضدَّ الإمام الوصي علي عليه السلام كما اعترف معاوية بهذه الحقيقة في أحد كتبه للإمام الحسن عليه السلام إذْ قال له فيه: إن أمري وأمرك شبيه بأمر أبي بكر وأمركم بعد وفاة رسول الله(ص)[١].

ثانياً: إن مواصلة الحرب بهذه الجماعات المنقسمة في كل شيء يُعد أمراً غير صحيح وقد أدرك الإمام الحسن ذلك ولكنه حاول أن يعيدهم الى واقعهم العقائدي الصحيح من خلال تحريضهم على مقارعة الظالمين ولكن دون جدوى، وما كانت الشهادة فيما لو خاض الإمام الحسن عليه السلام الحرب مع ثلّة من المختلفة قلوبُهم لتكون شهادتهم كشهادة مَنْ إستشهد بين يدي الحسين عليه السلام ثم يبدأ وعّاظ السلاطين في إنكار كونه شهيداً وما الى ذلك وبعدها يُبرأ معاوية من دمه ويُقال إنَّ الذي قتله أهل الكوفة وليس معاوية بن أبي سفيان.

وبذلك لم يكن في مواصلة الحرب الكثير من الفوائد والمنافع السياسية بل كان في قبول المعاهدة ضمان نسبيٌّ للحفاظ على ثلّة المؤمنين المخلصين أولاً، وفضح معاوية أمام الرأي العام ثانياً وتهيئة الأجواء لثورة الإمام الحسين عليه السلام فيما بعد ثالثاً.

فكانت المعاهدة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية مثلما كانت

---

١) انساب الاشراف للبلاذري: ج٣ ص٣١.

المعاهدة بين الرسول ﷺ ومشركي قريش ومثلها كانت الامور بين أمير المؤمنين علي عليه السلام صاحب الحق وبين الثلاثة.

كذلك كانت المصلحة الكبرى للإسلام هي المعيار في تحركات الأئمة (عليهم السّلام) وسنشير الى ثمرة قبول المعاهدة لاحقاً.

ثالثاً: وقريب مما قلناه ما ذكره الكاتب باقر شريف القرشي حيث قال:

«وما وصل الى الامام عليه السلام من أنّه إن حارب معاوية فقد يسلمه العراقيون اليه أسيراً وأغلب الظن أنّه لن يقتله بل يخلي عنه ويسجل لَنفسه بذلك مكرمة وفضيلة ويسدي يداً بيضاء الى كل الهاشميين ويغسل عن نفسه عار أنه طليق بن طليق وقد صرح الإمام الحسن عليه السلام بهذه الخاطرة:

«والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سليماً والله لئن أسالمه وأنا عزيز أحب إليّ من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنَّ عليّ فتكون سُبة على بني هاشم الى اخر الدهر ولمعاوية لايزال يمن بها هو وعقبه على الحي منا والميت»[1].

وهذا الأمر بحد ذاته لاتخفى أهميته فالإمام الحسن عليه السلام يحافظ على عزته وعزة النخبة المؤمنة معه وهو في الواقع حفاظاً على عزة

الإسلام وسمعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

رابعاً: ولو ٱفترضنا جدلاً أنَّ الإمام الحسن عليه السلام خاض الحرب وأنتصر على أهل الشام فمن المؤكد أنّهم لاينصاعون الى الإمام الحسن عليه السلام ابداً، وذلك أنّ معاوية كان قد أغدق عليهم العطاء والبذخ واعتادوا على الحياة المترفة وعلى البذخ والإسراف البعيد عن الاسلام وهذا كله يتعارض مع حياة الإمام الحسن عليه السلام وبذلك سيستمر الصراع وسيظهر معاوية أمامهم الرجل المثالي الذي فتح لهم بيت المال على مصراعيه وأرخى لهم عنان الحريات، وحتى فيما إذا قُتلَ معاوية فإنَّهم سيحولونه الى عثمان ثانٍ ثم يرفعون قميص معاوية الى جانب قميص عثمان.

وهذا معناه تحول الشام الى جبهة تشكل خطراً لايقل عن خطر الروم لاسيما إذا عرفنا التعاون بين حكومة الشام والبزنطينيين.

ويضاف الى هذه الجبهة جبهة الخوارج وهكذا رأى الإمام الحسن عليه السلام أن يستغل الفرصة وأن يغلق كل هذه الجبهات بقبول المعاهدة.

وفعلاً فقد انشغل الخوارج بمحاربة بني اُمية فيما بعد.

ولو فرضنا أنَّ الإمام الحسن عليه السلام خاض الحرب وانتصر وقتل معاوية فان أهل الشام سوف يحولون معاوية الى مثال رمزي لأكبر شهداء الإسلام توازي شهادته شهادة الإمامين علي والحسين عليهما السلام،

وهذا ما لايمكن قبوله ولا تصوره أبداً ولو خاض الحرب وخسر فإنّها المَذَلّةُ بعينها.

ولذلك نــرى الظــروف الاســتثنائية التي أحــاطت بـالإمام الحسن عليه السلام فرضت عليه قبول المعاهدة لتكون حماية الإسلام ومصالح وحدة الأمة خيراً من عدمها وأبق عند الله سبحانه.

محاولات يائسة

منذ عهود سحيقة أنقسم النـاس الى جمـاعتين: جمـاعة الحـق وجماعة الباطل، وعلى أثر ذلك ظهرت الى الوجود نخبة من الرجـال يمثلون الحق ويدافعون عن رموزه ونخبة من أشـباه الرجـال يمـثلون الباطل ويدافعون عن رموزه فكان وعاظ السلاطين في خدمة الظالمين، وقد عمل الوعاظ مع الظلمة لإرساء البـاطل وتأسـيسه جـذرياً في التاريخ ليتوارثه الناس جيلاً عن جيل.

ومن بين أولئك الذيـن فـضحتهم المـطامع واسـتهوتهم بـروق الدراهم والدنانير مجموعة التفّت حول معاوية وسارت على نهجه من بعده فحاولوا جاهدين رفع معاوية وتبرأته من كـل مـا يـشـير إليـه التّاريخُ بأنامل ظالمة مدمّاة فكانت محاولاتهم اليائسة محضورة فيما يلي:

١ـ الإشادة بمعاوية وإنه فقيه مجتهد[1] ولكنه أخطأ في آجتهاده في حرب الإمام علي والحسن عليهما السلام وقتل حجر وأصحابه وو...

٢ـ جعل معاوية داخل دائرة الإسلام مهما أمكن من خلال الحديث المنسوب الى رسول الله: «ان ابني هذا ـ الحسن ـ سيد ولعل الله يصلح على يديه بين فئتين عظيميتن في الاسلام»[2].

٣ـ جعل فئة معاوية من الفئات العظيمة والمهمة في الإسلام وبذلك يرتفع معاوية الى مصاف الإمام علي والإمام الحسن عليه السلام.

٤ـ تلطيخ صورة الإمام الحسن عليه السلام من خلال التعريض به أو نسبة بعض الأمور إليه مثل: إنَّه تزوج من سبعين امرأة وإنَّ مطلقاته كنَّ مائة آمرأة وإنه مطلاق و....

كل ذلك للنيل منه كما صنعوا من قبل مع أبيه الإمام علي المرتضي عليهما السلام، حيث عدوه لصاً وتاركاً للصلاة وأعلنوا سبَّه وورّثوا أجيالهم ذلك.

وابراز الإمام الحسن عليه السلام ذلك الانسان المسالم المجبور على الصلح من قبل الله تعالى لأنَّ الله تعالى أخبر نبيه أنَّ الحسن عليه السلام سيصلح بين فئتين وهذا ما أفاده أكثر كُتّاب السنة الذين كتبوا عن الإمام الحسن عليه السلام قديماً وحديثاً فمثلاً يقول طه حسين: «إنَّ الحسن كان يميل الى السلم

---

١) البخاري: ج ٤ ص ٢١٩ دار الفكر بيروت.

٢) المصدر نفسه: ج ١٢ ص ١٥ كتاب الصلح دار احياء التراث العربي.

بتأثير حديث الرسول الذي ينبئه أنْ سيصلح بين فئتين من المسلمين وأنَّ هذا الحديث قد وقع في نفس الصبي ـ الحسن ـ أيَّ موقع».

وقد تابع بعضَ الكُتّاب المحدثين طه حسين في تحليله الفاسد ورأيه الكاسد وأكثروا من القول أن التجربة السياسية عند الإمام الحسن عليه السلام قليلة فإنَّه لم يشترك في حروب أبيه، وإنَّه كان يعاني الفقر السياسي لأنَّ السياسيين المحنكين انقلبوا كلهم الى جبهة معاوية مما أضعف جبهة الإمام الحسن عليه السلام.

فضح المحاولات

شتان بين الحق والباطل وشتان بين هاشم وأُمية وكم هو الفارق صارخ بنفسه بين الإمام أمير المؤمنين علي المرتضىٰ عليه السلام والطُّلقاء وبين سيد شباب أهل الجنة الإمام (الحسن) عليه السلام وبين قتلة أولاد الانبياء الأمويين الطُّلقاء هؤلاء؟.

ولقد فات على وعاظ السلاطين مايلي:

١ـ لايشك أحد في أنَّ أهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين من أهل الآخرة بل سادة أهل الجنة، وأنَّ معاوية من أهل الدنيا فكيف يكون في مصافهم مع أنَّ الفرق بينهما كالفرق بين الدنيا والآخرة؟ ولكنهم بحديثهم هذا حاولوا أن يجعلوا معاوية ضمن دائرة الإسلام اولاً وفي مصاف الإمام الحسن عليه السلام ثانياً يقول ابن الأثير المعروف بنزعته الاموية: «فمن كفّرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع ـ من حرب الجمل وقتل حجر وحرب الحسن و... ـ فقد أخطأ وخالف النص

النبوي المحمدي»[١] ويقصد به حديث الصلح فالهدف عندهم هو هذا أيْ السعي لإعادة معاوية الى نِطاق الإسلام مرة أخرى ولو باصطناع أحاديث ونسبتها الى الرسول العظيم صلى الله عليه وآله.

٢ـ إنَّ رواية البخاري المتقدمة ضعيفة، ومع هذا فإنَّ إلقاء نظرة سريعة على مفردات الرواية تجعلك تسأل:

كيف تكون فئة معاوية عظيمة في الإسلام مع أنَّها الفئة الباغية التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله والتي حاربت الإمام علياً عليه السلام وقتلت عماراً فمالكم كيف تحكمون؟[٢].

ثم ما هو المعيار في أن تكون هذه الفئة عظيمة في الإسلام؟ هل هي الكثرة البشرية؟ أم السوابق الإيمانية؟ أم وجود القائد الروحي العظيم الذي تنعكس قداسته لتعم فئتهُ.

أمَّا موضوع الكثرة فإن الإسلام لايعير اهتماماً لذلك بمقدار اهتمامه بالقيم فإنَّ الأخيرة هي معيار المفاضلة كالتقوى والعلم... وقوّة اليقين والإيمان.

---

١) البداية والنهاية: ج٦ ص٢٤٦.

٢) كان ابن عمر يقول حين حضرته الوفاة: ما أجد في نفسي من الدنيا إلاّ أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية.

ونقل عنه ايضاً: ما آسي على شيء إلاّ أنّي لم اقاتل مع علي بن ابي طالب الفئة الباغية. انظر أُسد الغابة: ج٤ س٣٣ ويُنقل أنّه لم يشترك مع عائشة في حرب الجمل ولم ينصر علياً في نفس الوقت/انظر تاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٤٨.

وأمّا موضوعُ السوابق الايمانية فحسبك علماً بسوابق الأنصار والمهاجرين وأكثرهم كان في جبهة الإمام الحسن عليه السلام، وأمّا أهل الشام فإنَّ إسلامهم متأخر ولم يكن لديهم من الفضائل والمواقف ما كان لأهل المدينة. بل عُرفوا بضحالة الايمان وقلة الوعي ومساندة الملوك الظلمة على طول الخط.

فلم يبقَ إلاّ الأخير فاذا كان المراد هو القائد الروحي العظيم فلايُمكنُ أن نجعل معاوية في مصاف الإمام الحسن عليه السلام فضلاً عن أفضلية الإمام الحسن عليه السلام لكونه حفيدَ رسول الله صلى الله عليه وآله ولكونه إمام شرعي إضافة إلى أسبقيته وإيمانه وتقاه عليه السلام.

فلم يبق أيّ شيء يُدلُّ على أن فئة معاوية عظيمة فكان الأوْلىٰ بصانعي الحديث أن يفكروا في رجلٍ غير معاوية ليُلبِسوه حلة القداسة الوهمية التي لاتتاحُ لأيٍّ منهم ويؤطرونه مِنْ ثَمَّ باطار الاسلام.

وأمّا ما قاله بعضهم أنَّ بعض (الصحابة) تأوّل في حرب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام وقد أخطؤوا في تأويلاتهم وانهم على خير، فهذا الكلام من أكبر المبررات لصناعة الإرتداد والمروق ومواصلة الإجرام في عالم الإنسانية فإنّهم بهذه التسويلات فسحوا المجال لكثير من الظلم والاستبداد والاضطهاد تحت عنوان التأويل وقد فاتهم أنَّ هذه التأويلات كالكفر والشرك بالله تعالى لأنَّها تخرج المتأوّل عن

دائرة الإسلام بعدما جعل الرسول صلى الله عليه وآله حروب علي عليه السلام كحروبه قال صلى الله عليه وآله:

«أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله»[١].

وإذا كان معاوية فقيه فماله دائم الخطأ في الدماء، فقد أسرف في إراقة دماء المسلمين في صفين إذ كان هو المعتدي والباغي وقتله حجر وأصحابه ومالك والإمام الحسن عليه السلام وتتبع الشيعة وقتلهم؟

وماله دائم الخطأ في الصلاة فإنَّه صلى الجمعة يوم الاربعاء كما ذكره المسعودي[٢] وأيضاً ذُكر في البخاري أنَّه أوتر بعد العشاء بركعة واحدة![٣].

وماله دائم الخطأ في الحق فما زال منذ إسلامه الظاهري والى مماته على الباطل؟ ومع كل هذا الخطأ الفاحش والانحراف عن الإسلام يقول بعضهم عنه أنَّه فقيه!!

فأيُّ فقيه هذا، ومتى حصل على درجة الفقْهِ وهو يؤدي نافلة العشاء بركعة واحدة؟ وقد كان الخلفاء الثلاثة من قبله مع النبي صلى الله عليه وآله في المدينة يعيشون يومياته ومع ذلك جهلوا الكثير من الأحكام ورجعوا بها الى الإمام المبين علي عليه السلام وهذا أمر لاينكر، فكيف بمعاوية الذي لم

---

١) كنز العمال: ج ١١ ص ٦١٢ ح ٣٢٩٦٨.

٢) مرَّ مصدرهُ.

٣) البخاري: ج ١٥ ص ٢٨ كتاب بدء الخلق باب ذكر معاوية.

يصحب النبي ﷺ قط؟

فمعاوية بقي في مكة والنبي في المدينة فَمِنْ أينَ هذه الصحبة التي يتكلمون عنها؟ والأنكى من ذلك كلِّهِ أنّهم يعدونه من كتاب الوحي؟[1] هذه أمور ومثلها العشرات تحتاج الى تأمل من أهل السنة وتدبر ومراجعة فاحصة للتاريخ وربط أحداثه وتحليل المجموع بشكل عقلائي بعيد عن الميل المذهبي، يقول الكاتب كامل سليمان: «الناس لايعرفون من سيرة الحسن إلاّ أنّه خرج على معاوية ملك الزمان وإذ خانه أصحابه بايع وترك الأمر وعاد الى المدينة»!

هذا ما أُشتهر بينهم عن نتائج تلك الثورة المباركة، أمّا أنّ معاوية داهنَ في الناس والدين، وأمّا أنّه راوغ وتعهدَّ فنكث، وأما أنه مزق شمل الأمّة وبدَّد ما في بيت المال للاستعلاء وللتأمر على رقاب الناس، وأما أنّه فعل ما يجوز وما لايجوز في العرف وفي الدين، فهذا كله قد خرس أمامه الرواةُ وصمّوا وتعاموا وضلوا فلم يذكروا عنه قليلاً ولا كثيراً، اللهم إلاّ أنّهم يقولون عند ذكر بدعهِ ومساوئه: رضي الله تعالى عنه لقد اجتهد فأخطأ!!!![2].

وهكذا جاء حديث الصلح ليؤكد هذه الخطة الملعونة ويدعم

---

١) مع انهم يرون: أنَّ أبغض الناس الى رسول الله ﷺ: بني أمية ومعاوية منهم فكيف كان كاتباً للوحي؟. انظر كتاب الفتن للمروزي: ص٧٥.

٢) الحسن بن علي: ص٨٩ ط بيروت.

جانب معاوية بمزيد من القداسة الرسولية، وقد فاتهم حديث الفئة الباغية الذي يتعارض معه بل يؤكد لنا أنّ حديث الصلح من جملة خطط وعاظ السلاطين، لأنّ حديث الفئة الباغية متفق عليه بين الفريقين بخلاف حديث الصلح مع إنّه خبر آحاد وضعيف.

ولكن الحق انه لم يَفُتهم حديث الفئة الباغية بل إنّهم وضعوا حديث الصلح ليكون مقابله ومعارضه ابتغاء الفتنة وكمحاولة لضخ القداسة لمعاوية ومما يؤكد ذلك ما رواه البخاري قال: «لما سار الحسن إبن علي الى معاوية بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لاتولي حتى تدبر أُخراها، قال معاوية: مَن لذراري المسلمين؟ فقال: أنا فقال عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة نلقاه فنقول له: الصلح»...[1].

فهذاالخبر يريدون به رفع جانب معاوية ولكنه من جهة اخرىٰ يكشف أنَّ حديث الصلح جاء من ضمن تدبيرات ابن العاص وخططِه وقد حيك في ظرف الحرب على الظاهر وأُشيع وسط جيش الإمام الحسن عليه السلام ليزيد في تفكيكهم، وهي خطّة لاتختلف عن رفع المصاحف تلك الخطة الملعونة التي أشار بها عمرو بن العاص على معاوية وأنقذه بها.

---

١) البخاري: ج ٢٤ كتاب الفتن: ص ١٧٧.

إنَّ هذا النمط من التفكير لم يكن في عهد النبي ﷺ فإنّه لم يطلق كلمة (إجتهد فأخطأ) على أحد وانما هو طراز من التفكير المتأخر الذي أفرزته السياسة وأجرته على ألسنة وعّاظها حتى صار ثقافة يدين بها بعض الناس ولكن كيف ينسجم هذا التبرير مع ما هو موجود في صحيح البخاري فقد روي عن النبي ﷺ: قال: «لا تُقتل نفسٌ إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كفلٌ من دمها» لأنّه أوّل من سن القتل[1].

فاذا كان قابيل يتحمل شيئاً من كل عملية قتل ظالمة فكيف بالذين يريدون أن ينزهوا من كان سبباً لقتلى الجمل وصفين والنهروان؟

وكيف يفسرون موقف عائشة من الإمام علي عليه السلام؟ هل يقال إنّها (مجتهدة) أيضاً؟!!

إنّهم يروونَ في الصحيح، عن عبدالله بن زياد الأسدي قال: (لما سار طلحة والزبير وعائشة الى البصرة بعث عليٌ عمارَ بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا اليه فسمعتُ عماراً يقول: إن عائشة قد سارت الى البصرة ووالله إنّها لزوجةُ نبيكم ﷺ في الدنيا والاخرة ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياهُ

---

١) صحيح البخاري: ج ٢٤ ص ١٧٣ كتاب الفتن.

تطيعون ام هي؟)[١].

ومع غرابة الحديث إلاّ إنّه يقرر أنَّ خط عائشة مضاد ومخالف لله تعالى ليرى الله من يطيعه في علي ومن يعصيه في عائشة.

فهذه الحوادث والاحاديث تدعو كل عاقل للتدبر والتأمل وعدم الإنسياق وراء ما يقال هنا وهناك.

ويروى ايضاً أنَّ عائشة في مسيرها الى البصرة مروا بمكان اسمه الحوأب فنبحتهم كلابه فقالت عائشة: أيُّ ماء هذا؟ قيل: هذا ماء الحوأب، فصرخت وقالت:

إنا لله وإنا اليه راجعون سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه: ليت شعري ايتكن ينبحها كلاب الحوأب، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردوني، فأناخوا يوماً وليلة وقال لها عبدالله بن الزبير إنّه كذب ـ يعني ليس هذا ماء الحوأب ـ ولم يزل بها وهي تمتنع فقال: النجا النجا فقد أدرككم علي بن ابي طالب فارتحلوا نحو البصرة[٢].

قال جارية بن قدامة السعدي لعائشة: «يا أمّ المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح أنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك وإنّه من رأى قتالك يرى قتلك فإن كنتِ أتيتنا طائعة فارجعي

١) صحيح البخاري: ج ٢٤ ص ١٧٣ كتاب الفتن.

٢) تاريخ ابن الوردي: ج ١ ص١٤٨.

الى منزلك وإن كنتِ مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجـوع»[١] ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما موضوع قبض الإمام الحسن عليه السلام أمـوالاً مـقابل إيـقاف الحرب فهي الأخرى من موضوعات بني أمية ومن دار في فلكهم، لأنَّ هذه مجرد دعوى لادليل عليها، بل قام الدليل على خلافها فإنَّ اليعقوبي المؤرخ الثبت وابن الأثير وغيرهما يذكرون إرادة الإمـام الحسـن عليه السلام للحرب حتى اللحظات الأخيرة كما نقلنا بعض النـصوص. وأمّـا مـا إستثناه الإمام الحسن عليه السلام من أموال الكوفة فهو أمر طبيعي جداً لأنَّها كانت تحت يده فهو أحق بالتصرف فيها لاسيما مع لياقته لذلك بخلاف معاوية المعروف بحب الدنيا.

ثم إنّه عليه السلام كان يعمل على ضمان العوائل المتضررة من الحـرب والتي عاكسها وظلمها معاوية فيما بعد بسبب حب علي واهل بيته عليهم السلام.

ولا أدري كيف يقرون أنَّ الإمام الحسن عليه السلام شاطرَ أمواله مرتين وطلق الدنيا مراراً لزهده ثم يصفونه أنّه رجل مادي!! ولكن الحمد لله الذي يلقي النسيان على الكـذابـين فـيفضحون أنـفسهم بـالتناقضات والخزعبلات.

وأما موضوع كثرة زواجه وطلاقه فسأنقل جواب العلامة محمد

---

١) تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص١٥٦.

جواد فضل الله في هذا الموضوع في عدّة نقاط حيث قال:

١ـ «إنَّ زوجات الحسن تسعة فقط وهن اللاتي ذكرهنَّ المدائني في روايته الأولى ويَبقَ لنا في ذمة التاريخ إحدى وستون زوجة مجهولة الإسم والنسب وإذا أخذنا بالاعتبار روايته الثالثة من أنَّه أحصيت زوجات الحسن بن علي فكن سبعين امرأة، ومن البديهي أنّ الإمام الحسن ليس بذلك الإنسان المغمور شرفاً ونسباً وعنواناً ومركزاً حتى لايعرف الناس من حياته إلاَّ النزر القليل، وهل يتصور أنّ الامام يتزوج في حياته سبعين أمرأة دون أن يكون لهن أو لأكثرهن ذكر أو خبر في كتب التاريخ خصوصاً وأنّ زواج الإمام من بيت أو قبيلة يُعد من المفاخر التي تتناقلها الألسن وتشمخ بها النفوس وأيّ صهر أشرف وأعظم من ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلالة علي عليه السلام، ولا نفهم أيّ مغزى من كتمان أسماء من لم يُعرف من زوجاته المزعومة مع توفر الدواعي لذكرها.

٢ـ والذي يؤيد كذب هذه الروايات المفتيرات أن معاوية في مراسلاته للإمام قبل الصلح لم يعب عليه بشيء من ذلك بل ولم يشر اليه من قريب أو بعيد ولو كان شيء من ذلك لعابه به وشنّع عليه من خلاله.

٣ـ كما لم يُسمع من أحد ممن خاصم الامام ونصب له العداوة وتهجم عليه كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة

واضرابهم شيء من ذلك مع أنّهم كانوا من اشد الناس عليه... وربما يكون هذا دَليلاً قوياً على كذب تلك الروايات واختلافها.

٤ـ لو قارنا بين نسبة أولاد الإمام الى نسبة أزواجه عدداً لكانت ضئيلة جداً وهي واحد من خمسة هذا لو جعلنا لكل أمّ ولداً واحداً... فلو تروج انسا امرأة يكون احتمال عقمها بنسبة عشرة في المائة، أمّا لو تزوج اثنتين فيكون احتمال عقمها بنسبة خمسة في المائة، اما لو تزوج ثلاثة فإنّ النسبة تنخفض الى عشرة بالالف، أمّا لو تزوج أربع نساء فإنّها تنخفض الى نسبة واحد في عشرة الاف وهكذا كلما تصاعد عدد الأزواج ينخفض معدل النسبة الى الأقل حتى تصل الى حد يبعد معه الاحتمال بل يصبح ممتنعاً عادة.

وأيّ صفة هذه أن تكون إحدى وستون امرأة يتزوجها الإمام الحسن عليه السلام ولايكون لها قابلية الولادة؟

٥ـ وأمّا الطلاق فلم يحدثنا التاريخ إلاّ عن اثنتين طلقهما الإمام لداع اقتضى ذلك»[1].

أقول: فإن قيل إنّ روايات طلاقه وكونه مطلاق موجودة حتي في كتب الشيعة نقول في معرض الجواب:

ألف ـ ليس كل ما هو موجود في الكتب الشيعية صحيح بل

---

١) صلح الامام الحسن /محمد جواد فضل الله.

أيضاً يحتاج الى دراسة وإعمال الفكر وملاحظة كل ما يتصل بذلك من صحة السند ودلالة المتن ومعارضة الأخبار وغيرها.

ب ـ إنّ أغلب الأخبار تُنقل بل نقلت مجردة عن القرائن الحالية كما هو معروف مثلاً:

قد يكون الإمام علي عليه السلام ـ لو فرضنا صحة رواية كون الإمام الحسن عليه السلام مطلاق ـ جالس في جمع من الوجهاء ورؤساء القبائل ومعه الإمام الحسن عليه السلام والناس تعرض عليه بناتهم وهو أمر طبيعي فكل الناس تحب هذا الشرف وتميل الى مثل هذا النسب الطاهر، وكان أمير المؤمنين يجيب هؤلاء بأنّ بناتكم قد لاتتحمل حياة الحسن لأنّه اشتهر بالزهد والعكوف عن الدنيا ومشاطرته لأمواله فقد لاتتحمل بناتكم حياة الزهد والتقشف مما يضطر الإمام الحسن عليه السلام الى طلاقها لتعود اليكم في حياة البذخ فنقل لنا الراوي فقط الشطر الأخير من كلامه ومثل هذا حاصل بل كثير كما في رواية إنَّ الميت يعذب بالبكاء عليه فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قاله في خصوص ميت يهودي لمناسبة خاصة تركها الراوي وسجل المقطع الأخير فقط.

وأمّا ما أثاره ويثيرُهُ بعض المؤلفين: أنّ أحد دوافع الصلح هو حديث الرسول فإنّني ذكرتُ أنّ هذا الحديث غير معتبر من ناحية السند فضلاً عن النقاش في دلالته ولكن مع ذلك أقول:

ألف ـ إنّ الإمام الحسن عليه السلام قد صمم على حرب معاوية حتى

اللحظات الأخيرة لولا تفُكك جيشه كما عرفت سابقاً.

ب ـ وإنّ الإمام الحسن عليه السلام كان صاحب تجارب سياسية عميقة فإنّه كان في خضم الفتنة الكبرى أيّام عثمان وكان موقفه متألقاً واشترك مع أبيه في حروبه[١] وكان له الدور في حَشْدِ الكوفة الى جنب أبيه في معركة صفين من خلال خطبه وغيرها..

حـ ـ أما أمثال عمرو بن العاص والمغيرة ومروان وامثالهم فلايطلق عليهم سياسيين بالمعنى الصحيح فإنّهم أصحاب غدر وخيانة ودجل فالإمام الحسن عليه السلام لايرغب سلفاً بانضمام هؤلاء إليه لأنّهم يزيدون الطين بله فهو في غنى عن أمثال هؤلاء.

وبهذا تُرَدُّ وتُدفَعُ تلك المحاولات الفاشلة التي أثارها أعداء الإمام الحسن عليه السلام عمداً أو سهواً أو جهلاً بمكانة الإمام الحسن عليه السلام في وسطه الإجتماعي الإسلامي المؤمن وبمقام الإمامة المقدّسة لأنّها مفروضة من الله وتبارك وتعالى.

---

١) انظر «وقعة صفين» نصر بن مزاحم وسلسلة آل بيت النبي: ج٢ ص٤٦.

فوائد المعاهدة

لاشك أنَّ الإمام الحسن عليه السلام رأى المصلحة في قبول الهدنة أو المعاهدة كما رأها رسول الله في الحديبية، ورؤية المصلحة يتم من خلال قراءة المستقبل فإن فتح مكة كان أهم من خوض الحرب عند الحديبية ولذلك كان لصلح الحديبية الأثر البالغ في تقوية الأسلام خلال سنة فإن النبي صلى الله عليه وآله حافظ على أتباعه أوّلاً وأخذ عددهم يزداد بعيداً عن مخاطر قريش ثانياً، وهكذا فإن الإمام الحسن عليه السلام رأى المصلحة في إيقاف الحرب وقبوله للهدنة أهم بكثير من خوض الحرب بقلة مفككة لاتصمد وقبل أن نأتي على فائدة المعاهدة نذكر أهم بنودها أوّلاً:

١ـ تسليم الأمر الى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله.

٢ـ أن يكون الأمر للحسن من بعد معاوية فان حدث بالحسن

حدث فالأمر لأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به الى أحد.

٣ـ ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، والأمان لشيعة أهل البيت.

٤ـ استثناء ما في بيت مال الكوفة.

٥ـ أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله وأن لا يَتَتَبَّعَ معاوية أحداً بما مضى وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة[1].

أقول: أمّا الأولىٰ فقد استخف بها معاوية فإن سيرته تكشف عن ابتعاده كل البعد عن الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وآله.

والثانية خالفها صريحاً في تأمير ابنه يزيد ملكاً على رقاب المسلمين وقد مرَّ بنا ما ذكرناه عن يزيد.

والثالثة لم يتركها بل هو سَنَّها وأسَّسها وعمل بها وهي حادثةُ سبّ الإمام علي عليه السلام وأمر عماله بسبّه والبراءة منه.

والخامسة أيضاً خالفها حيث أخذ معاوية يطارد شيعة علي ويقطع عنهم الارزاق والعطايا حتى يعلنوا البراء من أمير المؤمنين علي عليه السلام وأخذ يطارد رؤوس معركة صفين وغيرهم، بل كان قتل الإمام الحسن عليه السلام أهم الأعمال الشنيعة التي ارتكبها معاوية كما أوضحنا وذكرنا.

---

١) انظر الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وصلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين حيث ذكر جميع بنود المعاهدة من المصادر السنية.

وإذا كان الأمرُ كذلك فلم يبق أيُّ معنى لحديث الصلح إذ أنّه لم يتم بمعناه الحقيقي، اذ كان اللازم أن يفي معاوية بشروط المعاهدة ولكنه جعلها تحت قدمه[١]، وكان اللازم أن يتلاحم أهل الشام مع أهل العراق وهذا لم يحدث بل بقي أهل العراق في نظر حكام بني أمية وأهل الشام العدو التقليدي لهم، ومن هذا نعرف ونقطع بعدم حصول الصلح بين فئتين عظيمتين!! فكيف يحصلُ هذا ومعاوية هو الذي حرّض مَنْ يدس السم الى الإمام الحسن عليه السلام؟

فهل كان النبي صلى الله عليه وآله يتحدث عن صلح مجازي أم حقيقي؟

ممّا لاشك فيه أنَّ صلح الحديبيّة الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وآله مع قريش كان حقيقيّاً أمّا هذا فإنّه صلحٌ مُزيّف يراد به الخداع لا الصلح،

---

١) انظر الكامل: ج٣ ص٢٧١ وتاريخ الطبري: ج٦ ص٩٢ وتاريخ مختصر الدول: ص١٠٩ وتاريخ ابن الوردي: ج١ ص١٥٧ والبلاذري في انساب الاشراف: ج٣ ص٤٤ ـ ٤٨ قال الحصين بن المنذر: «ما وَفى معاوية للحسن بشيء مما جعل له، قَتَلَ حجراً وأصحابه، وبايع لابنه ولم يجعلها شورى وسم الحسن».

وقال معاوية: «الا اني كنت شرطت في الفتنة شروطاً أردت بها الألفة ووضع الحرب إلاّ أنّها تحت قدمي».

وانظر مقاتل الطالبيين: ص٤٥ وذكر أبو الفرج الأصبهاني الأموي في مقاتله: ص٤٥ قول معاوية:

«إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم تفعلون ذلك وإنّما قاتلتكم لأتَأَمَّرَ عليكم».

ولذا فإن ما جرى بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية لم يكن صلحاً بل نوع من الإتّفاق على هُدنة معينة وليس من الضرورة أن يكون في هذا الإتفاق صلح بسبب ما ذكرناه آنِفاً والذي نلخصه بما يلي:

١ـ إنَّ معاوية شارك وسعى لقتل الإمام الحسن عليه السلام كما عرفت سابقاً[1]، فلو كان معاوية قد صالحه عليه السلام لما قتله وغدر بهِ على الوجه الذي ذكره المؤرخون والمحققون حول غدر معاوية بالإمام الحسن عليه السلام و... لأنّ الصلح معناه إزالة النّفار بين الناس[2] وقتل الإمام الحسن عليه السلام أو قتل أتباعه يؤكد البغض والنّفار الذي يحمله معاوية لأهل البيت عليهم السلام.

٢ـ إنَّ معاوية خان كل الشروط التي أملاها عليه الإمام الحسن عليه السلام والغدر ليس بشيء جديد في شخصية معاوية وإنّما هو مِنْ موروثات جاهلية مازالت تعشعش في دماغه كما أخل أبو سفيان (أبوه) بهدنة الحديبية من قبل، فالحقيقة هي أنَّ معاوية كان يضمر في

---

١) ذكر ابو الفرج الاصبهاني الأموي: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن ابي وقاص فدس اليهما سماً فماتا منه»/مقاتل الطالبيين: ص٤٥ و٤٧.

٢) مفردات الراغب: ص٢٩٢ ماده صلح.

نفسه فكرة عدم الوفاء وقرر مع نفسه ذلك سلفاً فهو لايعيّر أَيَّةَ أهمية لما يمليه عليه الإمام الحسن عليه السلام من الشروط ما دامت ستكون تحت قدميه.

٣ـ إعلانه بأنَّ يزيداً ملك من بعده أكبر مخالفة صارخة وصريحة لبنود المعاهدة، بل أكبر خيانة لضمير الأمّة الإسلامية.

ومع نظرة خاطفة لبنود المعاهدة نجد مايلي:

١ـ إنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يتنازل عن شيء مهم وهو مركز القيادة فإنّه اشترطه لنفسه أو لأخيه الإمام الحسين عليه السلام من بعد معاوية وبذلك سعىٰ الإمام الحسن عليه السلام لإغلاق الباب بوجه بني أمية ولكن مع سكوت وتخاذل أكثر الناس استطاع معاوية أن ينصّب يزيداً.

٢ـ كان بالإمكان أن تكون الشروط حافزاً لوعي الأمّة وإيقاظها من سباتها ولكن هيهات فقد فقدت الناس إراداتهم واكتفوا بيسير من ذكريات المجد وبكثير من الذل النازل بهم من بني امية، ومع خيانة معاوية وغدره بالإمام الحسن عليه السلام وسكوت الناس ينكشف لنا الوضع السيىء والسبات العميق الذي استغرقت به الأمّة آنذاك.

٣ـ إن الإمام عليه السلام جعل ترك سبّ الإمام علي عليه السلام والأمان لشيعته من المسائل المهمة التي ذكرها في مصاف كتاب الله وسنة نبيه ومركز القيادة.

أمّا الفائدة التي جناها الإمام الحسن عليه السلام من وراء قبوله المعاهدة يمكن أن نشير الى بعضها:

١ـ قد ضمن الإمام الحسن عليه السلام عدم إراقة دماء شيعته بقبوله للمعاهدة كما صرح بذلك: «فصالحتُ بقياً على شيعتنا خاصة من القتل فرأيت دفع هذه الحروب الى يومٍ ما»[1].

وقال ايضاً: «إنّي رأيت هوى عظُم الناس في الصلح وكرهوا الحرب فلم أُحب أن أحملهم على ما يكرهون، أردتُ بمصالحتي معاوية إلاّ أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت تباطؤ أصحابي[2].

والنصوص في ذلك كثيرة، فكان الحفاظ على النخبة الواعية والابقاء عليهم أفضل من الحرب وقال الكاتب محمد بيومي:

ـ «ولو فتح ـ الحسن ـ باب الحرب مع معاوية لضحىٰ بشيعته ـ وأهل بيت النبي ويجتث بذلك الاسلام من أصله».

وقد صرح عليه السلام بذلك في جوابه عن دوافع صلحه «إنّي خشيتُ أن يجتث المسلمون عن وجه الارض فأردتُ أن يكون للدين ناعٍ»[3].

٢ـ كان في قبول المعاهدة مصلحة عامة وخاصة، الأولىٰ هي

---

١) تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص٢٢٠.

٢) الاخبار الطوال: ص٢٢٠ و٢٢١.

٣) سلسلة في رحاب النبي وال بيته: ج٧ ص٧١ / دار النهضة العربية بيروت.

ترك الحرب ما دامت لاتقضي على معاويةلانها لاتكون إلا إهداراً لدماء المسلمين وحتى لايتحول الإسلام الى صراع دائمي فكانت المصلحة الاسلامية تقتضي قبول المعاهدة والمصلحة الخاصة هي الحفاظ على القواعد الشيعية القليلة.

٣ـ وقد لايتحقق للإمام الحسن عليه السلام من الحرب ما تحقق لاخيه الحسين عليه السلام في الشهادة العظمى التي لاينكرها أحد وذلك لقلة من سيصمد معه الى اخر الخط.

أو قل قد لا يتحقق للإمام الحسن عليه السلام من مواصلة الحرب تلك المنافع التي درتها ثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

ويمكن القول ايضاً أنّ الامام الحسن عليه السلام لمّا رأى قلة الناصر عزم على تغيير المنهج إذ كان الأصل هو مواصلة مواجهة بني أُمية لكيلا تتسع قاعدتهم الخبيثة فأجّل الأمر الى عهد الإمام الحسين عليه السلام بينما اشتراكه في الحرب يعني موته وموت كل من كان معه.

بينما نجد ثورة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام قد طفحت بالحق الظاهر مع أهل البيت الذي لايشك به أحد، ومن هذا وذاك آثر الإمام أبو محمد الحسن عليه السلام الصلح أو المعاهدة. لما رأى قلة الناصر وميلهم نحو العافية والمال.

«ودلته فراسته أنّه وإن كان هو الأصلح للخلافة إلا أنّ أهل العراق يزهدون الخلافة بينما معاوية يطلب ملكاً يسيح المال من جوانبه

سحاً فجرى ـ بعض ـ القوم وراء المال واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الدين بالدنيا، والخلافة لاتنجح إلا في مجتمع ينشدها ويرضىٰ حكمها...»[١].

---

١) الامام الحسن: ص ١٢٤ / حسن كامل الملطاوي كاتب سني.

ما هو رأي الإمام الحسين عليه السلام في الهدنة

قد ذكر بعض مؤرخي أهل السنة أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن على توافق مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام في قبول الأخير المعاهدة[١]، ونحن بدورنا نسجل عدة ملاحظات على دعواهم هذه:

١ـ أمّا أن يراد من ايرادهم لهذه الأكذوبة توجيه ضربة الى الإمام الحسن عليه السلام بأنّه كان خائفاً من الحرب وشأنه التراجع والمسالَمة وعدم كفاءته السياسية حتى اعترض عليه أقرب الناس إليه وهو الإمام الحسين عليه السلام. فإنْ كان هذا مبغاهم وهو ليس بعيد عنهم فإنه يتعارض مع حديث الصلح الذي سجلوه في صحاحهم إذ يبرز الإمام الحسن عليه السلام من خلاله ذلك الإنسان الحريص كل الحرص على مستقبل

---

١) انظر مثلاً تاريخ ابن خلدون وأُسد الغابة وأنساب الأشراف وتاريخ ابن عساكر والبدء والتاريخ للمقدسي ومن المعاصرين طه حسين وكل من اعتمد عليه وسار على نهجه.

المسلمين مما يدل على بُعد نظره وٱستقرائِهِ المستقبل من خلال الحاضر وهذه هي الكفاءة السياسية التي لامثيل لها.

وهم لايلتزمون بهذا التعارض فإمّا أنّهم يطرحون النصوص التي تحكي مخالفة الإمام الحسين لسياسة الإمام الحسن وما يطرحونه محض افتراء لا أكثر.

وإمّا أنّهم يطرحون حديث الصلح، أو يتم طرحهما معاً لتعارضهما وهو الأصح.

٢ـ أو يُراد من إيرادهم لهذه النصوص توجيه ضربة للإمام الحسين عليه السلام على أساس أنّ الإما الحسين عليه السلام رجل ثوري يرغب في الحرب ولايعير أهمية لدماء المسلمين ومستقبلهم وهذا أيضاً باطل فقد عُرف الإمام الحسين عليه السلام بحب الاسلام والمسلمين وكيف لا وإنّه عليه السلام سيد شباب أهل الجنة؟. وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة، هذا وقد أجمع المسلمون على كونه من الشهداء الأبرار ومعلوم أنّ الشهيد هو ذلك الرجل الذي يفني وجوده من أجل حياة الدين والناس فالأَوْلىٰ أن يقال: إنّ ما ذكره ابن الأثير وغيره من معارضة الإمام الحسين لسياسة الإمام الحسن عليهما السلام محض كذب وافتراء أُريد من خلاله تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام وهو جزء من السيل الإعلامي الذي صنعه بنو أمية ضد أهل البيت عليهم السلام.

٣ـ ثم إنّ ما ذكروه غير موجود في مصادر الشيعة مطلقاً وعليه فلانعتني بما ذكروه، نعم توجد في بعض المصادر أنّ الإمام الحسين سأل أخاه الحسن عليهما السلام عن سر قبوله المعاهدة بقوله: «ما الذي دعاك الى تسليم الأمر؟». فقال عليه السلام: «الذي دعا أباك فيما تقدم»[١]. وقد أشار معاوية لذلك أيضاً كما تقدم فكما ترك أمير المؤمنين عليه السلام المطالبة بحقه في الخلافة من أجل المحافظة على الهيكل العام للإسلام كذلك قبل الإمام الحسن عليه السلام المعاهدة مع معاوية لمّا رأى المسلمين لايدركون خطر معاوية ولايعرفون قيمة الإمام الحسن عليه السلام بينهم عندها عمل بما عمل به أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فهذا الكلام موجود في مصادرنا وهو كما ترى ليس اعتراضاً من الحسين على الإمام الحسن عليهما السلام وإنما إستيضاح الحال... واستفسارُ عمّا ستؤول إليهِ الأمور:

وقد يُراد من سؤال الإمام الحسين عليه السلام من أجل إفهام الناس وإلاّ فالأمر عند الإمام الحسين عليه السلام واضح ولكنه سأل الإمام الحسن عليه السلام في محضر الناس ليطلع الناس على حقيقة الأمر ومثل هذا كثير.

وفي الختام أقول:

---

١) البحار: ج ١٠ ص ١١٣.

قد انجلىٰ الليل ووضح الحق بضوء الصباح الساطع وبرز الإمام الحسن عليه السلام بصورة خالية من الإتّهام والتنقيص فإنّ ما أوردتُه عين الحق. قد اوردتُ في كل ما ذكرتُ الكثير من المصادر التي أشارت إلى مواقف الإيجابية المشرقة لأهل البيت التي سعىٰ الاعداء لطمرها بل حاول بعض المعاصرين أن يعرضها بشكل مقلوب[1] ومشوش، وهناك من يركّز على بعض الروايات الموضوعة فقط لينال من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

اسأله تعالى أن يحشرني مع أهل البيت عليهم السلام ومن تابعهم ويتقبّل هذا القليل منّا

---

١) من امثلة ذلك ما ذكره أحد الكُتّاب مدافعاً عن لقب (مروان الحمار) فذكر مايلي: ولقب الحمار هنا في معرض المدح وليس الذم لأنَّ مروان كان شجاعاً صبوراً جلداً قوياً حتى مقتله!!!/انظر كتاب النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة: ج٣ ص١٢١ علاء الدين المدرسي.

أقول: ولاأدري في أي لغة في العالم يطلق على الشجاع حمار؟! ومتى تبدل الأسد الى حمار؟

شذرات من كلام الإمام الحسن عليه السلام

قبل أنْ ننهي الكلام أحببنا أنْ نذكرُ للقارىء الكريم بعض مواعظ وتوجيهات الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام:

قال: **«فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها، وأشدُ من المعصية سوء الخلق والعبادة انتظار الفرج».**

وقال: **«تعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أنْ يرويه أو يحفظهُ فليكتبه وليجعله في بيته».**

وقال: **«مكارم الأخلاق عشر، صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأ بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقِرىٰ الضِيف ورأسهن الحياء».**

وقيل للإمام الحسن عليه السلام: «مَن أحسنُ الناس عيشاً»؟.

قال: **«مَن أشرك الناس في عيشه».**

وقيل له عليه السلام: «مَن شر الناس»؟.

قال: **«مَن لايعيش في عيشه أحد»**[1] .

فاضل

آخر شوال ١٤١٩ هـ

---

١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٢٦.

من مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١ـ الكامل
٢ـ مروج الذهب
٣ـ تاريخ اليعقوبي
٤ـ تاريخ الطبري
٥ـ أُسد الغابة
٦ـ تاريخ ابن خلدون
٧ـ تاريخ ابن عساكر
٨ـ نور الابصار
٩ـ الفصول المهمة
١٠ـ الصحاح الستة
١١ـ ينابيع المودة
١٢ـ شذرات الذهب
١٣ـ تاريخ السيوطي
١٤ـ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة
١٥ـ شرح النهج
١٦ـ المناقب
١٧ـ تذكرة الخواص
١٨ـ الدر المنثور
١٩ـ تفسير الآلوسي
٢٠ـ تفسير القرطبي
٢١ـ التنبيه والأشراف
٢٢ـ قصص العرب
٢٣ـ فتح الباري
٢٤ـ الإرشاد
٢٥ـ الملاحم والفتن
٢٦ـ الأخبار الطوال
٢٧ـ منتهى الامال
٢٨ـ مختصر تاريخ العرب
٢٩ـ دول الإسلام
٣٠ـ تاريخ ابن الوردي
٣١ـ الأنساب والأشراف
٣٢ـ المعارف

٣٣ـ تاريخ أبي الفداء
٣٤ـ مرآة الجنان
٣٥ـ البداية والنهاية
٣٦ـ البدء والتاريخ
٣٧ـ كتاب المحن
٣٩ـ كتاب الفتن
٤٠ـ أهل البيت عليهم السلام
٤١ـ سلسلة في رحاب النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام
٤٢ـ اشتراكية عثمان
٤٣ـ علي إمام المتقين
٤٤ـ سلسلة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله
٤٥ـ علي وعصره
وغيرها من مصادر

محتويات الكتاب

تمّ الكتاب بحمد الله وتوفيقه



مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com